الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: ...../2024
رقم التسجيل: 18034097764

في عتبات كتب الرقائق والتصوف في الغرب الإسلامي

دراسة دلالية سيميائية

مذكرة ماستر ل.م.د.
في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي
من إعداد الطالبة: رشيدة بلاعدة

نوقشت بتاريخ: 30 سبتمبر 2024، أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

الرقم	الاسم واللقب	مؤسسة الانتساب	الصفة
1	الطاهر بونابي	جامعة المسيلة	رئيسا
2	الأخضر بولطيف	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	النذير قوادرية	جامعة المسيلة	ممتحنا

الإهــداء:

إلى منائر العلم في كل مكان وزمان

أُهدي هذا العمل...

راجية من خالق الأكوان

المزيد من الفتوح والأفهام.

الشكر والعرفان:

الحمد لله دائما وأبدا، والشكر لله أولاً وآخرا.

وإذا المرءُ لم يَشكُرْ قليلًا أصابه،

فليس له عِندَ الكثيرِ شُكورُ،

فكل الشكر والامتنان لصاحب العلم والبيان،

لأستاذي لخضر بولطيف،

لمن توسم السخاء العلمي فيه ضافيا،

وشيم التواضع خلقا عاليا.

والثناء كل الثناء لمن غرس فينا أن

"العلم ميراث غير مسلوب، وقرين غير مغلوب".

المقدمـة

يعد موضوع العتبات النصية في دلالالتها الإنسية والكونية تعبيرا عن تجربة روحية تعبدية فريدة من نوعها، تجسّد فيها الفعل الإنساني، وسلوكه الأخلاقي، برمزية مغرقة في الإشارة والعلامة، صاغ من خلالها المتن الصوفي فكرة إنسانية الإنسان، ومناهجه التعبدية، وعلاقته بالكون والله، في نسق ديني أخلاقي معرفي، يعكس واقع الذات الإنسانية، ودورها في الكون والحياة، وموقعها من الأغيار والذوات الأخرى.

1- أهمية الموضوع وإشكالاته:

من منطلق الأهمية التي حازها موضوع الإنسان في علاقاته المتعددة المتشابكة مع ذاته، ومع الآخر، التي ما طفقت تعاود مطارحة نفسها مجددا في سرديات وأدبيات الدراسات الألسنية الحديثة بخلفية مغايرة، وما تخفيه المدونة التراثية الصوفية المنقبية المليئة بالأسرار والمعاني الخفية المستترة خلف رمزية الإنسية والكونية، التي توشحت بها عناوينها ومقدماتها، جاء اختيارنا للموضوع.

ورغبة وتطلعا منّا لخوض غمار كشف وسبر أغوار ما تخيفيه النصوص الموازية في المدونة التراثية الصوفية المنقبية، وشغف البحث وحب الاطلاع الذي ازدادت حدّته، وتعاظمت شدته، والموضوع لم يزال فكرة جنينية مقترحة في قائمة الأستاذ لخضر بولطيف؛ الذي فتح شهيتي، ونفث في روحي البحثية جرعة زائدة عن أهمية البحث في مثل هذا المقترح، لما له من جدة وطرافة وأصالة، فهممت أهيب فيه إفناء النفس وتجريدها من أهوائها من أجل إشباع نهمها البحثي.

إنَّ البحث في عتبات كتب الرقائق والتصوف، وما تحمله من مكنونات وغوامض في العديد من القضايا الإنسية، في نسقها الفكري الاجتماعي التاريخي الأخلاقي

بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قد استفزني حقا، وولّد الرغبة لدي في الإبحار والغوص لكشف خبايا عوالم هذا الموضوع الغامض المتشابك.

يضاف إلى ذلك أن موضوع عتبات المدونة الصوفية المنقبية في دلالاتها الإنسية الكونية، إن لم نقل موضوع العتبات في الحقل التاريخي ككل، لا يزال بحثا خصبا لم تطاله أيدي الباحثين في أنساقه الدلالية الفكرية العقلية تصورا وممارسة، بل لا غرو إذا قلنا إنه من القضايا اللامفكر فيها، والمسكوت عنها، باستثناء ما تم دراسته على وجه التخصيص في مجال الدراسات الأدبية النقدية الألسنية.

وتتعضد أهمية الموضوع بجملة أهداف ومرامٍ لاحت في أفقه، من أهمها:

-محاولة الإسهام ولو بالنزر القليل في إثراء الدراسات التاريخية، بمثل هذه المقاربات في شموليتها وتخصصها في "أفكار وذهنيات وسلوكيات تاريخ عياني".

-التأكيد على أن التجسير والمجاورة العلمية أثبتا صلاحية بعض المناهج في دراسة الحقل التاريخي، دون الانزياح به عن سياقه العام.

-الكشف عن مضامين ومقاصد التجربة الصوفية بالغرب الإسلامي في طابعها المعقول والمحسوس، وفي أبعادها الإنسية والكونية.

-إماطة اللثام عما يخفيه الفكر الصوفي من معان باطنية وأخرى ظاهرية، تتصل بحقائق الخلق والكون والوجود.

-تفكيك وتحليل خطاب الأنسنة والكونية الوارد في عتبات المدونة الصوفية المنقبية، والوقوف على النوايا الحقيقية والمضمرة التي استتر وراءها الفكر الصوفي المغربي الوسيط في ثنائية رمزية إبداعية قوامها؛ الله والإنسان والطبيعة في مسلكها الذوقي، والتي تمثل لب الموضوع المأمول الاشتغال عليه.

وقد دارت مجمل هواجسنا البحثية حول الإشكالية الآتية:

-كيف تأتّى لمتصوفة الغرب الإسلامي صياغة تجربتهم الروحية الأخلاقية المعرفية في ظل ثنائية مفارقة بين واقع حسي محايث مدنس؟ وواقع غيبي مفارق مقدس؟ أو بصيغة أخرى:

-كيف أسهم خطاب الأنسنة الدينية الأخلاقية في تمثلاته الكونية الطبيعة في بنية المخيال الجمعي بالغرب الإسلامي؟

-وما مدي مساهمة الفكر الصوفي في رسم طريق تعبدي لتأطير منجز الإنسان الكامل، القائم على تغييب الذات تارة وتحييثها طورا آخر، في ظل تجاذبات قيم العرف والسياسية، ورميهم في بعض الأحايين بالابتداع والخرق؟

2- الدراسات السابقة:

لما كان متعينا على كل باحث في مبتدأ طرقه لموضوع بحثه، الاستئناس لدراسات قبلية، من أجل الوقوف على المبحوث فيه، والبحث عن المغيب، وكذا النهل من معينها، لتلمس خطوط البحث، ووضع لبناته الأساسية، فإن ذلك مما لم يتهيأ لنا، حيث لم نقف -في حدود اطلاعنا- على وجود دراسات سابقة من هذا القبيل، باستثناء دراسة وحيدة بعنوان: "**العنف اللفظي في عناوين المصنفات العقدية السنية الوسيطية مشرقا ومغربا -محاولة لتفكيك الخطاب ومقاربة النسق-**"[1]، وعليه فقد كان جل تركيزنا في محاولة تأسيس وبناء بحث مكتمل الأركان، على ما ورد من ألفاظ إنسية وكونية في عناوين ومقدمات المدونة الصوفية المنقبية في الغرب الإسلامي، موجهين آلية الحفر والتنقيب في عناوينها ومقدماتها، من أجل الوقوف على مضامين معانيها ومقاصد مؤلفيها، فكان المبحوث عنه هو المبحوث فيه في آن واحد.

[1] طارق ضربان، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي، بإشراف الأستاذ لخضر بولطيف، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، الجزائر، دورة جوان 2021م.

3- المنـهج والرؤية:

نظرا لغموض الظاهرة الصوفية وإغراقها في الرمزية، ولطبيعة الموضوع المتشابكة، وإشكالاته المتفردة المتنوعة، لم يكن أمامنا سوى المزاوجة بين منهجين: التاريخي الوصفي، والسيميائي التأويلي.

ذلك أن المنهج التاريخي الوصفي هو الملائم لاستقصاء المعلومات في مظانها الأصلية، ومحاولة استنطاق ما تحويه من مواد، تبوح لنا ببعض الحقائق عن زوايا البحث، وتحسبا لطبيعة الموضوع وتشعباته وانغلاقاته، عمدنا إلى إعمال عدد من آليات المنهج التاريخي؛ كآلية الاستقراء، من خلال استقراء ما تعنيه دلالات الألفاظ الكونية والإنسية في سياقها التاريخي الفكري، واستشفاف مقاصد مؤلفيها، كما عمدنا إلى تحليل الألفاظ الإنسية والكونية في بيئتها المنتجة لها، التي عكست روح التجربة الصوفية بالغرب الإسلامي. أما آلية المقارنة، فقد أفسحت المجال أمامنا للوقوف على معاني الألفاظ في بعدها المعجمي والصوفي، وتفكيك رمزيتها في سياقها الديني والفكري والأخلاقي، وفق ما يتناسب وطبيعة الموضوع. فيما أتاح لنا المنهج السيميائي التأويلي، سبل تتبع الألفاظ الواردة في عناوين ومقدمات المدونة الصوفية المنقبية، ورصد ما تحمله من علامات وإشارات، وحمولة معرفية وقيمية.

ولعل ذلك مما يخوّل لنا الزعم أن موضوعنا هو ثالث محاولة منجزة في حقل العتبات، ضمن رصيد المدرسة القيمية، التي نحوز شرف الاعتزاز بالانتساب إليها، والكون من عداد باحثيها، لما يتطلبه البحث في أفق المدرسة القيمية من همة بحثية عالية تستغرق الأنفاس، وتستدعي حيازة عدّة منهجية غير هيّنة، لمن يروم تفكيك الخطابات ومقاربة الأنساق، ونحن لا ندعي أننا نحوز جميع هذه المواصفات، لكن بذلنا الوسع في الولوج إلى عتبات النصوص بقدر فهمنا، وما تهيأ لنا من تكوين.

4- هيكل الموضوع:

رغبة منا في إخراج البحث في حلة متماسكة في مبناه ومعناه، في ضوء ما حزناه من مادة علمية، خلصنا به إلى الهيكلية الآتية:

المقدمة: تطرقنا فيها إلى أهمية الموضوع وإشكالاته، وكذا تحديد الرؤية والمنهج، وأهم المصادر والمراجع التي اتكأ عليها البحث في مختلف أطواره.

الفصل التمهيدي "حقل العتبات والمنهج السيميائي"، كان بمثابة الشارح الأكبر لمصطلحات البحث، حتى نتلافى كل غموض أو لُبس قد يصادف المتلقي أو القارئ، على غرار مصطلح "السيمائية"، و"العتبات" ومجال إعمالهما.

الفصل الأول الذي جاء بعنوان: **عتبات كتب الرقائق والتصوف في دلالتها الإنسية،** وقد حاولنا من خلاله الوقوف على مقاصد توظيف تلك الألفاظ، وسبب إيرادها، كذا بيان صلتها بالسلوك التعبدي، ومناهجه تصورا وممارسة، من قبيل ألفاظ: الورع، والتقوى، والاستغاثة، والفناء، والموت، العاقبة، لما لها علاقة بمآل الإنسان وصيرورته.

وفي سفرنا في ثنايا البحث، وعبر **الفصل الثاني** رحلنا إلى عالم آخر وكان عنوانه: **عتبات كتب الرقائق والتصوف في دلالتها الكونية،** حلقنا من خلاله في عوالم الطبيعة ومكنوناتها من وجهة نظر المتصوفة، من خلال تتبع الألفاظ الكونية السماوية والأرضية في مبحثين، في بعدهما التصوري الرمزي، مفصحا وكاشفا عن مغزى التعانق الإنسي مع الطبيعية، وعلاقتها بالمعرفة والحقيقة، وتجلياتها في الواقع الإنساني.

أما **الخاتمة** فكانت بمثابة الحصيلة والعائد من البحث ككل، وهي تشمل مخرجات واستنتاجات، ذيلناها بآفاق وتطلعات استشرافية، لمن تتملكه رغبة البحث في العتبات وتموجاتها القيمية.

5- الدراسة النقدية:

من منطلق أن مجال دراستنا هو السلوك الذوقي أو التصوف في بعديه الإنساني والكوني، وفي طابعه التاريخي الفكري الفلسفي في العصر الوسيط في الغرب الإسلامي، وعلى خلفية ما يمليه علينا موضوع دراسته في عتبات كتب الرقائق والتصوف من خلال الألفاظ الواردة في عناوينها ومقدماتها في دلالاتها الإنسية والكونية، كان مدار بحثنا متمركزا بصفة أساسية على كتب الرقائق والتصوف، ومعاجم اللغة العربية وبعض المصادر والمراجع التي استأنسنا بها في بعض الأمور الجزئية. وبيان ذلك فيما يلي:

- **كتب الرقائق والتصوف:** شكلت جوهر العملية الفكرية البحثية التي تم الاشتغال عليها بشكل رئيسي وجوهري، من خلال رصد وتتبع الألفاظ الإنسية والكونية الواردة في عناوينها ومقدمتها فتعهدنا بالجمع، ثم الحفر والتنقيب عن معانيها في محاولة مقاربتها في سياقها الصوفي الوارد في مقدمات كتب الرقائق والتصوف، والتي لا يسعنا ذكر نماذج عنها لكونها شكلت المادة الدسمة له، ولكن لا بأس أن نذكر منها الأكثر تكرارا معنا؛ ككتاب **مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم**، لابن عربي (ت 638هـ/1240م)، هذا الأخير، الذي كان لمصنفاته النصيب الأوفر في إثراء البحث عبر كامل فصوله، رغم صعوبة لغته وخياله الجامح المغرق في الرمزية، وتعانق فكره الصوفي مع العقيدة وشيء من الفلسفة؛ وكتاب **شرح الباقيات الصالحات** لابن الأقليشي (ت 551هـ/1156م). وغيرها من المصنفات التي تم إحصاؤها في

مجال عتبات الدلالات الإنسية والكونية، والاشتغال عليها رغم صعوبة فهمها وفك لغتها الرمزية وتداخل فصولها مع العقيدة والفلسفة.

– **كتب معاجم اللغة وفقهها:** تقاسمت الصدارة هي الأخرى مع كتب الرقائق والتصوف، فقد أسعفتنا في تفكيك ألفاظ البحث وتتبع معانيها وتطورها وتنوعها من معجم إلى آخر، واصطفاء ما يوائم موضوع الدراسة. نذكر منها وفق تسلسلها التاريخي: **المحيط في اللغة**، للصاحب (ت 385هـ/995م)، و**الصحاح**، للجوهري (ت 393هـ/1002م)، و**المحكم والمحيط الأعظم لابن** سِيدَه (ت 458هـ/1065م)، و**لسان العرب** لابن منظور (ت 711هـ/1311م)، و**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، للسمين الحلبي (ت 756هـ/1355م)، و**القاموس المحيط**، و**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** للفيروزآبادي (ت 817هـ/1414م).

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن التفسير الإشاري الذي يعج به النص الصوفي ألجأنا إلى الاعتماد على معاجم شرح الألفاظ في سياقها القرآني، مما كان له أثر طيب في إثراء البحث وفك بعض غوامض ألفاظه الرمزية، مع تنبيه لا مندوحة عنه، ويخص سبب تراجعنا عن استمداد معاجم المصطلحات الصوفية، رغم أنها تمثل مادة جوهرية في فهم المصطلح، وهو اقتناعنا أن اكتشاف معاني الألفاظ في أصولها الصوفية المنقبية أجدر وأنسب في رأينا للبحث.

– **مصادر ومراجع منوعة:** كان ركون البحث إليها قليلا فيما عدا ما يقعد لمسألة فكرية ما، أو إثباتها أو شرحها. ونذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: كتاب **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، للمقريزي (ت 630هـ/1232م)؛ و**كتاب إحكام صنعة الكلام**، للكلاعي الإشبيلي الأندلسي (ق6هـ/ 12م)

أما بخصوص الدراسات الحديثة فكانت شحيحة جدا، نظرا لغياب ما له صلة بموضوعنا، ونقصد النصوص الموازية أو العتبات في حقلها التاريخي، في حدود علمنا، باستثناء ما استأنسنا به في الفصل التمهيدي التنظيري من دراسات أجنبية معربة، تتعلق بموضوع العتبات في سياقها النقدي الأدبي، وقد حاولنا تطويع المادة التي حوتها وفق ما يخدم موضوع البحث، رغم تشابهها من حيث الطرح والمادة والتناول، حتى ليخيل للباحث أنها دراسة واحدة.

6- الصعوبات:

على رأي أستاذنا المشرف "لخضر بولطيف" البحث إما أن يكون حيرة وتعبا ومعاناة، وإلا ليس له ولا فيه من البحث سوى رسمه، وعليه فليس من قبيل المزايدة ولا المباهاة، أن البحث بالنسبة لي سعادة تغالب معاناته، ونورا يسفر حيرته، وحزنا إن قصرت في حقه، وتلك هي لذة البحث وشغفه.

وليس يحسن بنا سوى الإشادة والتنويه بجهود أستاذنا المشرف، الذي أغدق علينا بفيض سخائه العلمي، فقاسمنا تفاصيل البحث جله ودقه، بكل معاناته وانغلاقاته وفتوحاته، فكانت نصائحه وإرشاداته خير معين في لحظات الضعف والوهن، فله منا جزيل الشكر والعرفان، وحفظه الله على الدوام.

في الختام نحمد الله على تمام العمل، ونحن لا ندعي له الكمال والتمام فلكل شيء إذا ما تم نقصان، لكن نخاله تجربة بحثية مضافة في عتبات المدونة التراثية، والمدرسة القيمية، قد تكون منطلقا لدراسات أخرى استشرافية.

الفصل التمهيدي:

حقل العتبات والمنهج السيميائي

أولا: حقل العتبات

ثانيا: المنهج السيميائي

أولا- حقل العتبات:

إذا كانت العتبات في المدونة التراثية، في مرحلتها الجَنينية الأولى، لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تخرج عن صناعة الكتابة والكتاب، المسماة" **الرؤوس الثمانية**"[1]، المنبئة بعوالم النص المسطور منه والمنظور، تفصح عن حمولة فكرية معرفية، ومنهجية متنوعة، في النص التراثي الإسلامي، في مقابل مبحث العتبات في الدراسات النقدية الأدبية المعاصرة؛ الذي لم يعد معبراً لسياجات المتن فقط، ولكن لتجاوزها واجتيازها حسب جيرار جنيت[2].

هذا الأخير الذي عدها محطة لم توجد إلا للعبور، مؤكدا أنَّه قلما تظهر النصوص عارية من النصوص الموازية، فإنَّ ذلك يعني عدم استثناء المدونات التراثية بصفة عامة والصوفية المنقبية خاصة، في محاولة فهم خطاباتها وتخطي عتباتها للولوج إلى مضامين متونها بالاستئناس لما تحمله عناوينها ومقدماتها من دلالات ظاهرة، ومستترة خلف المعاني والألفاظ، وعليه فما المقصود بالعتبات، وما علاقتها بالمنهج السيميائي المصاحب للعتبات؟[3].

---

[1] تقرر -من قديم- في الثقافة العربية الإسلامية، أهمية الإتيان بالرؤوس الثمانية في صناعة الكتابة والكتاب قبل افتتاح الكتاب، وهي: الغرض، والعنوان، والمنفعة، والمرتبة، وصحة الكتاب، والعلوم المستعملة، ومن أي علم هذا الكتاب، وواضع الكتاب ومرتبته. يراجع أبو العباس أحمد بن علي العبيدي المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1417هـ/ 1997م، ج1، ص8-9.

[2] عبد الحق بلعابد: **عتبات -جيرار جينيت من النص إلى المناص-**، تعريب: سعيد يقطين، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 1428هـ/2008م، ص142.

[3] المرجع نفسه، ص44.

1- مفهوم العتبات:

أ- لغة:

من العتبة وأُسْكُفَةُ الباب، التي تُوطأ، والعتبةُ العلُيا، والخشبة التي تعلو الحاجب والأُسْكُفة: السفلى... وعتب الدرج، وعتب الجبال والحزون، وعليه فهي تشير إلى العلو تارة، والمدخل تارة أخرى، وقد توحي إلى الصعوبة والشدة أحيانا أخرى[1]، وهي دلالة معجمية لغوية توحي لنا بحدود الأشياء، وصعوبة إدراك حقيقتها، وما إدراك حقيقتها إلا بتخطي حدودها وتخومها.

ب- اصطلاحاً:

هي شفرة دلالية مساهمة في عملية الفهم، والتأويل إن عجز النص عن الإفهام تكون العتبات المرشد المعين لفهم دلالاته العميقة[2]، ومن منطلق الفلسفة البنيوية، ودعواها بانغلاق النص على نفسه لاكتفائه بذاته، ظهر مفهوم التناص، الذي دعا إلى التعددية في قراءة النص من خلال عتباته الداخلية والخارجية[3].

وممن أثار قضية العتبات قبل جيرار جنيت الناقد، الفيلسوف ميشال فوكو، حينما قرر: أنّ حدود الكتاب تبقى غامضة ومعقدة، فخلف العنوان والأسطر الأولى، والكلمات الأخيرة، توجد منظومة من الإحالات، إلى كتب ونصوص، وجمل أخرى

---

[1] أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري: **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص2791.

[2] عبد الرزاق بلال: **مدخل إلى عتبات النص –دراسة في مقدمات النقد العربي القديم–**، تعريب: إدريس نقوري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1420هـ/2000م، ص23.

[3] جوليا كريستيفا: **علم النص**، تعريب: فريد الزاهي، ط2، دار طوبقال، المغرب، 1417هـ/1997م، ص21، 41.

تختلف بحسب الأوضاع والمقامات، وهي بمثابة قطع تنهض بوظيفة مركزية في النص، وتشكل بذلك نظاماً ملتحماً بعضه ببعض[1].

ليطفو على الساحة الفكرية مجددا محاولات تنظيرية وتطبيقية من أجل إعادة ربط النص أو المتن بسياقاته الخارجية العابرة للأمكنة والأزمنة التي يتقاطع فيها ذلك المتن، مع نصوص سابقة عليه، أو متزامنة معه؛ تلك هي الثورة التي أحدثتها الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا، فيما يعرف بالتناص، أوعلم النص من خلال توسيع وتعميق الوعي بالنص[2].

من هذه الزاوية جاء تركيز الناقد الفرنسي جيرار جينيت على مبحث العتبات، أو النصوص الموازية مستثمرا كل الجهود التي سبقته في مبحث العتبات بصفتها في نظره أنماط المتعاليات النصية، والشعرية العامة، التي لا يمكننا معرفتها ولا تسميتها إلاّ بمناصها[3].

وبالحفر في العلاقات التي تربط النصوص بعضها ببعض، والكشف عن العلاقات الحوارية للنص مع عناصر داخلية أخرى، مثل العناوين الرئيسية والفرعية ومابين العناوين كالتقديم والتذييل والتنبيه وغيرها[4]، فالوشاية والبوح بمقاصد الكتاب مهما كان جنسه ونوعه مهمتها، وبذلك فهي تشكل نظاما إشارياً ومعرفياً، لا يقل أهمية عن المتن الذي يحفزه أو يحيط به كما يقال[5].

---

[1] ميشال فوكو: **حفريات المعرفة**، تعريب: سالم يفوت، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1357هـ/1987م، ص23.

[2] جوليا كريستيفا: المرجع السابق، ص21،41.

[3] عبد الحق بلعابد: المرجع السابق، ص44.

[4] فيصل الأحمر: **معجم السيمائيات**، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، دار الاختلاف، الجزائر، 1431هـ/2010م، ص147، 148.

[5] عبد الرزاق بلال: المرجع السابق، ص16.

فالعتبات إذن أداة فاعلة من خلالها، وعن طريق الإدراكات الحسية والعقلية للقارئ يتمكن من الوقوف على مضمون النص بكل حيثياته المعرفية والاجتماعية، والتاريخية وتفكيك دلالته الرمزية والإشارية باعتباره خطابا موازياً مفكرا فيه، ومن أهم تلك النصوص الموازية عتبتا العنوان والمقدمة مدار عملنا ومحور اهتمامنا في عتبات كتب التصوف والرقائق وعليه[1]، فقراءة وفهم عمق النص الأصلي مرهون، بقراءة خطابات عتباته المحيطة به: كبيانات النشر، العناوين، الإهداءات والمقدمات.

2- عناصر العتبات:

أ- العنوان:

مكون جوهري في صناعة الكتاب والخطاب بصفة عامة، ومن منظور أنَّه أول ما يتلقاه المتلقي، نال حظه من الاهتمام، وإحكام صنعته، لكونه هو الشيء الدال على متن الكتاب ومفصح عن مجاله المعرفي وطبيعة موضوعه من خلال ما يحمله من رموز وعلامات تساهم في فك رموز المتن ومغاليقه[2]، فلا غرو أننجد البعض قد شبهه بالعقرب لاحتضانه للمتن ودلالته عليه كالعقرب في احتضانها للسم ودلالته عليه[3]، وفي ذلك يقول الشاعر[4]:

بعثوا إلي بصحيفة مطوية بختامها عنوانه كالعقرب
فعرفت منها الشأن حين رأيتها ففضضتها عن مثل ريح الجورب

---

[1] عبد الحق بلعابد: المرجع السابق، ص 44.

[2] يوسف الإدريسي: **عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر**، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، 1436هـ/2015م، ص43.

[3] أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي: **إحكام صنعة الكلام**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1436هـ/1966م، ص51.

[4] المصدر نفسه، ص51.

فالعنوان ظاهرة قديمة في المخيال الإنساني عموما، اقترنت في المكون الثقافي الإسلامي التراثي بالنص الديني وقداسته، حيث جاءت مثلا عنونة السور القرآنية مقترنة بمضمون السورة في حد ذاتها، مثل ما هو الحال مع سورة البقرة والنساء... الخ، فعكس بذلك سر بناء العنونة المنفتح على أفق تكوينه عبر سبر أغوار وعلائق ارتباطه مع الذاكرة والمتخيل العربي الإسلامي[1].

وكذا سر الاهتمام به في الكتابة التاريخية العربية الإسلامية، وحتى وإن لم ترق إلى مستوى العنونة في الدراسات الأدبية الغربية الحديثة والمعاصرة، وحسبنا من يطالع كتب الجاحظ (ت 255هـ/869م): البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء، والبرصان والعرجان والحولان، سيقف على براعة وإبداع الجاحظ الفكرية في صناعة العنوان وتصوير وقراءة طبائع المجتمع من حوله، من خلال ما يتضمنه العنوان من علامات ورموز وإشارات تجسد ملامح الإنسان في عصره وهمومه ومشاكله وطموحه[2].

وذلك ما أشار إليه الزركشي (ت 794هـ/1392م) أنَّ العرب كانوا ينتقون المسميات ويأخذون النادر، أو المستغرب من أسمائها يكون في الشيء من خلقٍ أو صفةٍ تخصه، أو تكون معه[3].

فهو بذلك يحمل الكثير من العلامات والرموز والإشارات هي بمثابة مفاتيح الإفهام، تتيح لنا الدخول إلى عالم النص والتموضع في زواياه، فالعنوان عملية تقليص واختزال لمعاني النص ودلالته، إنَّه إشارة مختزلة ذات بعد إشاري سيميائي يؤسس

---

[1] أبو عبد الله محمد بن بهادر المصري الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1427هـ/2006م، ص190.

[2] محمد حسن عبد الله: "**العنوان في التراث العربي –منظور تأسيسي في تأصيل ظاهرة العنونة بالأسماء في التراث العربي ودلالتها الحضارية والنفسية**–"، مجلة عالم الفكر (الكويت)، ع180/2019م، ص7–48.

[3] الزركشي: المصدر السابق، ص190.

لفضاء نصي واسع قد ينبئ المتلقي بما هو مسكوت عليه من حمولة ثقافية أو فكرية اجتماعية وإيديولوجية وغيرها[1].

ب- المقدمة:

تحتل المقدمة موقعا متميزا باعتبارها خطابا، وجزءا من نظام معرفي مكمل للمتن[2]، وقبل ذلك فهي نص موازٍ متعالقٌ مع نص المؤلف وحاملٌ للعديد من القرائن الموجهة للقراءة والمساعدة على الاستيعاب والفهم[3]، لذلك فهي فخ تنصبه لذاتها لتكون جزءا مما تقدمه[4].

والمفارقة العجيبة بين المنجز وما ينتظر أن ينجز في خطاب المقدمات، هو ما ميز المقدمة في المدونة التراثية الإسلامية، فكانت عتبة المقدمة بمثابة تخطيط لمسار عمل، وكيفية إنجازه مثل ما هو الشأن في مقدمة كتاب الموازنة للآمدي، ومقدمة ابن طباطبا[5]، والأمثلة في هذا السياق كثيرة ومتنوعة، تبين من جهة ملامسة المؤلفين في الثقافة الإسلامية لمبحث عتبة المقدمة، والممارسة النقدية في عتباتهم بصفة عامة، حتى وإن افتقدت للدقة العلمية والمنهجية، والتقعيد الأكاديمي.

---

[1] علي سحنين: "**خطاب العتبات ومضمراته -المعنى الصوفي في رواية ما تشتهيه الروح لعبد الرشيد هميسي-**"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها (الجزائر)، مج13، ع01-2021/02م، ص1928.

[2] المصطفى الشاذلي: "**مقاربة أولية لكيفية انتقال المقدمة في الخطاب النقدي القديم**"، مجلة علامات في النقد، (جدة)، مج8، ع29/سبتمبر 1998م، ص296.

[3] عبد الفتاح الحجميري: **عتبات النص -البنية والدلالة-**، ط1، شركة الرابطة، الدار البيضاء، 1416هـ/1996م، ص43.

[4] ميشال فوكو: **الكلمات والأشياء**، تعريب: مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1441هـ/ 1990م، ص5.

[5] أبو القاسم الحسن بن بشر البصري الآمدي: **الموازنة**، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، [1412هـ/ 1992م]، ص5، 6.

أما المقدمة من وجهة نظر جيرار جنيت، فهي خطاب وممارسة بوجود المؤلف غير منفصلة عليه توجد حول النص وتدور في فضائه وليست خارجه، هي جزء منه تمده بقوة قصدية ووظيفية ملازمة له[1].

ثانيا- المنهج السيمائي:

العتبات بوصفها، صانعة للخطاب الإنساني، ومن منطلق التكامل المعرفي بين العلوم تأتي أهمية السيمياء، أو السيميولوجيا باعتبارها المنهج والعلم الذي من خلاله يتم تفسير وتحليل وفك خطاب العتبات، وعليه ما المقصود بالمنهج السيميائي؟ وكيف ارتحل إلى مجال الألسنية والصوفية؟

1- مفهوم السيميائية:

أ- لغة:

جاءت كلمة السيمياء مرادفة لمعنى العلامة في لسان العرب لابن منظور: السُّومَةُ والسَّيمَيةُ والسَّيماءُ والسَّيمِياءُ، وسوم الفرس أي جعل عليه السَّيمَةَ[2]، بمعنى العلامة كما كان لها نظير في الكثير من الآيات القرآنية مثل قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنَ اَثَرِ اِلسُّجُودِ ۖ﴾[3].

ب- اصطلاحاً:

أما من الناحية الاصطلاحية فقد اتخذ المصطلح عدة معاني ودلالات تختلف بحسب المعطى والاستخدام، فالسيميولوجيا تعني عند دوسيسير، العلم الذي يُعنى

[1] عبد الرزاق بلال: المرجع السابق، ص48.

[2] ابن منظور: المصدر السابق، ص2158.

[3] سورة الفتح: الآية 29.

بعموم الدلائل، وهي مشتقة من "Semeion" اليونانية والتي تعني الدليل، ثم وضع بورس لفظة "سميوطييقا" لتشير إلى نفس العلم ومن المعلوم أنَّ أصل هذه اللفظة هو "semiotké" اليوناني الذي وضعه جالينوس ليعني به علم الأمراض في الطب[1].

ولا شك أنَّ القدماء من الفلاسفة ومنهم المتصوفة قد شاع لديهم استخدام مصطلح السيمياء استخداما فاق طاقة المصطلح ودلالته اللغوية، وذلك ما أشار إليه عبد الرحمن ابن خلدون(ت 808هـ/1406م): أنَّ المسمى لهذا العهد بالسيمياء قد نقل وضعهُ من الطلّسمات إليه فاستعمل استعمال الخاص في العام عند الغلاة من المتصوفة، الذين اعتبروا أنَّ الكمال الإسمائي مظاهره تتجلى في أرواح الافلاك والكواكب،وأنَّ طبائع الحروف والأسرار سارية في الأسماء، لذاك، فعلم أسرار الحروف هو من تفاريع علم السيمياء"[2].

وهذا وقد استعمل مصطلح السميولوجيا في الثقافة الإسلامية في كذا علم بمعنى دلالي، فكانت الدلالة ألصق بعلم **الرموز** "sémiologie"، فابن خلدون يذكر في مقدمة علم أصول الفقه أنه: يتعين على دارسي هذا العلم، النظر في دلالة الألفاظ، ذلك أنَّ استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق متوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة[3].

واعتبر الجرجاني **الدلالة؛** هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى

---

[1] مارسيلو داسكال: **الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة**، تعريب: حميد الحمداني وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1407هـ/1987م، ص4.

[2] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي: **مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكب**، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، 1446هـ/2001م، ص664.

[3] المصدر نفسه، ص574.

باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص واقتضاء النص والجدير بالذكر أن السيميولوجية العربية على بدائيتها إن صح التعبير لم تستطع تأسيس منظومة معرفية ومنهجية قادرة على الحفر ضمن ما يسمي بتاريخ الذهنيات والسلوكيات[1].

فالإنسان يري نفسه العالم المحيط به من خلال علامات "إننا لا نعرف من نحن ولا كيف نفكر إلا من خلال السيمياء "على حد تعبير الإيطالي إمبرتو إيكو[2].

مع هذه المتغيرات امتدت السيمياء لدراسة فروع شتى من العلوم على رأسها الثقافة من منطلق أنَّ الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساق دلالية، فتحولت السيمياء الثقافية إلى حقل المجتمع الإنساني[3]، لتنظم أنظمة من سلوكيات وثقافة، لها معان وأنساق متعددة تتمثل في "لغات طبيعية واصطناعية، وفنون وديانات وطقوس"[4].

وهكذا اتسع مجال السيمياء لتشمل دوائر المعرفة الإنسانية والممارسة الاجتماعية بكافة أبعادها، لتتبع ظواهر الوجود والوعي الاجتماعي، بالبحث عن تمظهرات دلالتها الممكنة.

2- مجال إعمال المنهج السيمائي:

تتنوع وتختلف مجالات إعمال المنهج السيمائي من حقل إلى أخر، ولا غرو من القول أنَّ نشاط الإنسان اليومي أصبح في حد ذاته مجالا خصبا للممارسة المنهجية السيمائية، نظير ما ينتج عن هذا النشاط المستمر من كم لا يحصى من العلامات،

---

[1] على بن محمد الشريف الحسني الجرجاني: **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1406هـ/1985م، ص109.

[2] أمبرتو إيكو: **السيمائية وفلسفة اللغة**، تعريب: أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1426هـ /2005م، ص16.

[3] مارسيلو داسكال: **الاتجاهات السمولوجية المعاصرة**، تعريب: حميد لحمداني وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1407هـ/1987م ص5.

[4] المرجع نفسه، ص10.

التي هي انعكاس لمستوى ثقافي فكري اجتماعي معين ترتكز عليه هوية تلك المجتمعات. فما علاقة السيمياء بالألسنية؟

أ- **الألسنيات الأدبية:**

يقصد باللسانيات العلم الذي يُعنى باللغة المنطوقة كانت،أو ملفوظة، ويعد حقل الألسانيات من الحقول التي اجتاحتها المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة، بما في ذلك المنهج السيميائي، الذي اعتبر أنه من الضروري اكتشاف عوالم النص الأدبي وتقصي معانيه في أشكاله التعبيرية المختلفة[1].

ويذهب دو سوسير إلى أنَّ اللسان عبارة عن نسق من الدلالات التي تعبر عن المعاني، لذلك يمكن مقارنته بالكتابة وبالأحرف الأبجدية عن المصابين بالصمم والخرس، وكذلك مقارنته بالطقوس الرمزية بل اللسان أعظم أهمية من كل تلك الأنساق[2]، أما شاندلِر الفيلسوف البريطاني تعد الألسنية فرعا من فروع العلم العام السيميائي، وأنَّ تلك القوانين التي تكتشفها السيميولوجيا يمكن تطبيقها في الألسنة فيكون لها بذلك مكان محدد في حقل المعرفة البشرية[3]، ومن منظور أنَّه لا يوجد شيء أفضل من دراسة اللغات لإظهار طبيعة المسألة السيميولوجية[4].

فهي إذن تهتم بكل ما له علاقة بالتجربة الإنسانية، غير أنَّ سعيد بنكراد يشترط في هذه التجربة أن تكون موضوعاتها جزءا من سيرورة دلالية، لأن تلك الموضوعات

---

[1] ليلى شعبان شيخ محمد رضوان: "**المنهج السيميائي في تحليل النص الادبي**"، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات (الإسكندرية)، مج01، ع2017/33، ص779.

[2] فرديناند دو سوسير: **محاضرات في علم اللسان العام**، تعريب: عبد القادر قنيني، ومراجعة: أحمد حبيبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1407هـ/1987م، ص22.

[3] دانيال شاندلِر: **أسس السيمائية**، تعريب: طلال وهبة، ومراجعة: ميشال زكريا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1428هـ/2008م، ص29.

[4] المرجع نفسه، ص34.

الموجودة خارج نسيج السيميولوجيا لا يمكن أن يشكل منطلقا لفهم الذات الإنسانية[1]، وعبر رحلة المساءلة في أنساق العلامات والألسنة، التي اقتحمت الحقول المعرفية في الفلسفة الأوربية المعاصرة، وتحول الإنسان إلى منتج للدلالات متجاوزا المنطوق والملفوظ، كائن حوّل الأصوات إلى أشكال حاملة للمعاني، يحيا بالوسائط[2]. ومن هذا المنطلق انخرط جيرار جنيت في مساءلة النص الأدبي ومكوناته السردية من كونه مجموعة من الملفوظات اللسانية الدالة وكمنطقة قابلة للحفر والتأويل[3].

وعليه كان تركيز جل المناهج النقدية الأدبية الحديثة والمعاصرة، منصبا على إيجاد سبل كفيلة بقراءة النصوص الأدبية بمخزونها الداخلي والخارجي، من أجل إبراز القيم التي تزخر بها النصوص من معانٍ متعددة، من خلال الاستناد على الأسس النظرية والعملية للدرس اللساني، بوصفه إجراء يشتغل في نظام لغوي، والإجراءات النظرية السيميائية، بوصفها منهجاً يتتبع الأنظمة الدالة سواء كانت لسانية أو غير لسانية[4].

ب- المرموزات الصوفية:

انطلاقا من الدلالة والرمزية التي كانت علامة بارزة في عناوين ومقدمات المدونة التراثية بما فيها كتب التاريخ والأدب والتصوف والرقائق، استوجب على الباحث والمؤرخ في مجال التاريخ، الاهتمام بموضوع العتبات النصية، لفهم وقراءة ما تختزنه هذه المدونات من فكر وتصور وتنظير في حضارتنا الإسلامية.

---

[1] سعيد بنكراد: **السيمائيات -مفاهيمها وتطبيقاتها-**، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا، 1433هـ/2012م، ص28.

[2] المرجع نفسه، ص27.

[3] عبد الحق بلعابد: المرجع السابق، ص27.

[4] بشير تاوريريت: "**السيمائية في الخطاب النقدي المعاصر**"، مجلة علامات في النقد (جدة)، مج14، ع54/ ديسمبر 2004م، ص175-201.

وذلك بالركون إلى السيمياء، من منظور التلاقي والتقاطع بينهما في دراسة الرموز والعلامات للكشف عن هذا الحقل الذي ظل مغيبا، يراوح مكانه لقلة الاهتمام به وكذا مركزية الدراسات الحديثة والمعاصرة حول التاريخ السياسي والسيميولوجيا النقدية حول دراسة وتحليل النصوص الأدبية[1].

إضافة إلى طغيان النظرة المادية في قراءة التاريخ وتهميش الرموز والدلالات باعتبارها مفارقة للواقع أقربها للأسطورة معبرة عن الوهم مجانبة للحقيقة.

وتغييب التاريخ العياني المتمثل في السلوكيات والذهنيات، والذي لا يعد في الحقيقة إلا مظهرا من مظاهر الممارسة العقلية والسلوكية الإنسانية معبرا عنها في كثير من الأحيان في أنساق رمزية مجسدة تجربته، وما تحمله من إيحاءات وإحالات على عوالم مختلفة[2]، على حد تعبير كلود ليفي شتراوس "أنَّ السلوك الإنساني هو سلوك رمزي في جوهره، ولا يمكن للسلوك الرمزي أن يكون سوى إنساني"[3].

ومن هنا بدا الاهتمام بالإنسان كظاهرة إنسانية فاعلة منتجة من قبل علماء الأنثروبولوجيا الذين أولوا اهتماما بدراسة الرموز، لأن الإنسان وحده ينفرد بالسلوك الرمزي وبالقدرة على استعمال الرموز والتعامل عن طريقها، "فالرموز تستمد قيمتها ومعانيها بحسب استخدامها من قبل الإنسان"[4].

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش: "**علاقة التاريخ بالسيميولوجيا –التاريخ العربي الإسلامي نموذجا–**"، مجلة عالم الفكر (الكويت)، ع176/أكتوبر –ديسمبر 2018، ص170.

[2] آمنة بلعلى: **سيمياء الأنساق –تشكلات المعنى في الخطابات التراثية–**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 1435هـ/2013م، ص25.

[3] سعيد بنكراد: المرجع السابق، ص276.

[4] فيليب سيرنج: **الرموز في الفن والأديان والحياة**، تعريب: عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للنشر، سوريا 1413هـ/1992م، ص6.

انطلاقا من المجاورة العلمية بين العلوم، وأهميتها بات من الضروري الاستفادة من المنهج السيميائي في تفكيك النص الصوفي الذي يحمل الكثير من الرمزية، ويعزو البعض ذلك لكون الخطاب الصوفي مرتبط بالإنسان وعلاقته الجدلية مع ذاته ومع الآخر ومع الطبيعة ومع الله تعالى، ومرتبط أيضا باللغة التي تنقل محتويات الفكر[1].

ما تجدر الإشارة إليه أنَّ العقل العربي حاك النص القرآني، لاسيما المتصوفة الذين استأنسوا في مصنفاتهم إلى النص القرآني فأسهم بذلك في إنشاء معرفة رمزية قابلة للتفكير فيها والإبلاغ عنها ليس على سبيل الحقيقة التي تعبر عنها بل من خلال ما ترمز إليه[2].

ولا غرو في القول بأن عتبات كتب التراث لاسيما الصوفية والمنقبية إن على مستوى العناوين أو المقدمات هي حبلى بالكثير من الرموز والدلالات والإشارات التي تنبئ عن واقع مختلف مستتر وراء العناوين والمقدمات يعكس الذات الإنسانية ودورها في الكون وموقفها من الوجود وعلاقتها مع الذوات الأخرى تحتاج إلى الحفر في حيثياتها وكشف كنهها.

[1] إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص167.

[2] آمنة بلعلى: المرجع السابق، ص, 26.

الفصل الأول:

عتبات كتب الرقائق والتصوف في دلالاتها الإنسية

أولا: الإنسان العابد.. المنهج والعائد

ثانيا: الإنسان الخالد.. المصير والمآل

توطئة:

يعد الحفر والتنقيب عن الدلالات الإنسية في عناوين ومقدمات المدونة الصوفية المنقبية بالغرب الإسلامي، وما تخفيه من معاني مضمرة حول الفعل الإنساني وسلوكه الأخلاقي بحرا لا ساحل له، يحمل من الغموض والأسرار الكثير عن الذات الإنسانية في بعدها الأنا والآخر في انكارها في الواقع الحقيقي والاعتراف بها في واقع مفارق وجدت فيه كنهها وحقيقتها ومآلها، تأنسا ومؤانسة للحضرة الربانية، ذلك ما سوف نقوم بشرحه وتفكيك معانيه، من خلال ما ورد من الألفاظ في عناوين ومقدمات المدونة الصوفية المنقبية ذات الصبغة الإنسية القصدية، تعبر عن تجربة سلوكية أخلاقية.

أولا- الإنسان العابد.. المنهج والعائد:

لما كانت العبادة أسمى مراتب العبودية، والعابد مفتقرا على الدوام إلى الله تعالى، والافتقار هو حقيقة العبودية ولبّها، فهي تحقيق لمحبة العبد لربه ومحبة الرب لعبده[1]، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِۖ﴾[2]، وقوله جل وعلا :﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، وفقا لهذا جاءت عناوين ومقدمات المدونة الصوفية المنقبية ذات حمولة لفظية إبداعية تعبدية رمزية، كما أرادها مؤلفوها، ذلك ما سوف نستقرئه من الألفاظ الواردة في عناوين ومقدمات المصنفات الصوفية المنقبية في هذا المبحث.

---

[1] أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي: **العبودية**، تحقيق: على حسين عبد الحميد، دار الأصالة، مصر، 1420هـ/1999م، ص106، 107.

[2] سورة الانشقاق، الآية: 06.

[3] سورة الذاريات، الآية: 55.

1- منهاج العبادة:

الإنسان بوصفه مخلوقا مسخرا لفعل العبادة في الدنيا الفانية، وإدراكاَ لحياة مستمرة التمس طرقا ومناهج[1] للتعبد وتحصيل العائد، وتجسيدا لوظيفته الوجودية، كلها ألفاظ ذات إيحاءات وإيماءات رمزية تحيلك على نسق سلوكي قيمي أخلاقي، ورد في عناوين ومقدمات المصنفات المنقبية الصوفية بالغرب الإسلامي، ذلك ما سوف نفكك معانيه في هذا المطلب.

أ- القُربةُ:

ورد هذا النعت أو المسلك التعبدي في عنوان كتاب: "القُربةُ إلى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين"، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال الأنصاري القرطبي (ت 578هـ/1183م)[2]، وتتمحور دلالة هذا المعنى في المعجم اللغوي حول القرب، وهو نقيض البعد نحو قَرب الشيء يقرُبُ، قُرباً قُرباناً وقِرباناً[3]، القُرب والتقرب[4] نحو قوله تعالي: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5]، القُربان ما إلى قَرُب إلى الله عز وجل، كما يطلق على جليس الملك

---

[1] أبو العباس أحمد بن إبراهيم الإسكندراني (حي 700هـ/1301م): **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، تحقيق: عبد السلام السعيدي، ط1، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1434هـ/2013م، ج1.

[2] تحقيق: السيد محمد سيد، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1420هـ/1999م.

[3] ابن منظور: المصدر السابق، ص3566.

[4] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: **الصحاح**، مراجعة: محمد محمد ثامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م ، ص925.

[5] سورة الأعراف، الآية: 55.

وخاصته[1]، ويحيل أيضا على شيء مُقارِب بالكسر أي بين الرديء والجيد، وكذا متاع مُقارِب[2].

فالقرب بهذا المعنى يولد في النفس الرغبة في الدنو من الله تعالى والانقطاع عما سواه، بحملها على المجاهدة بالذكر والتقرب بالنوافل والفرائض[3]، كالصلاة على النبي خير البرية، ذِكراً تنقطع فيها نفس العابد عن الموجودات في العالم السفلي، لتحصيل مقام القربة والتحقق بالحقائق الإلهية، فتتكشف الحجب بفضل الصلاة على النبيﷺ ودون ذلك، فدعاء العابد بعيد المنال، حتى الثناء على الله والصلاة على خير الأنام[4]، فالذكر والصلاة على النبيﷺ، متاع العابد الزاهد، وتحمل رمزية خاصة عند المتصوفة، فهي مفتاح الحجب وتقرب من الله عز وجل، وعقيدة راسخة في ذهنية مجتمع الغرب الإسلامي.

ب- الاستغاثة:

جاء هذا اللفظ في عنوان: "كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات"، لابن بشكوال[5] -متقدم الذكر أعلاه-، ويحمل في دلالته المعجمية معنى الإغاثة والإعانة[6]، على نحو غاث الله البلاد[7]، وغاث العباد، وأجاب الله غواثه، أي

---

[1] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَه المرسي: **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/2000م ،ج6، ص390.

[2] أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث لطباعة والنشر، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص1299.

[3] عبد المنعم الحفني: **معجم مصطلحات الصوفية**، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1407هـ/1987م، ص217.

[4] ابن بشكوال: المصدر السابق، ص17، 19.

[5] تحقيق: مانويلا مارين، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ومعهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1411هـ/1991م.

[6] ابن منظور: المصدر السابق، ص33323.

[7] الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص1211.

دعاءه[1]. وغوّث الرجل واستغاث أي صاح واغوثاه، والمغاوثُ المياه لأنه يستغاث بها[2]، ومنه أطلق اسم الغَوْثُ والغواث، ويوصف به على نحو المجاز الدعاء والبكاء لكثرة طلب الاستغاثة[3]، ومما ذكر في هذا السياق في خطاب الله تعالى لعيسى عليه السلام: "يا عيسى انقطع إلي بالمودة، واستعن بي في حالات الشدة، فإني أغيث المكروبين، وأنا أرحم الراحمين"[4]، وكذا ما ورد عن الرسول ﷺ في مناشدته لربه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[5].

وبهذا المعنى فالاستغاثة هي صدق اللجوء إلى الله، وحسن التوكل عليه، وتعلق القلب به، والتذلل والتضرع بين يديه، وهي الطريق المؤدي إلى قضاء الحاجات ودفع الشر والكربات[6]، وشرف الحصول على الكرامات، وإجابة الدعوات ممن اتصف بكثرة الدعاء من العُباد وأولياء الله الصالحيين، كخبر العبد المملوك لعبد الله بن مبارك رضي الله عنه في الاستسقاء، فما كاد هذا العبد ينهي دعاه في الصلاة حتى أغيث الناس مطراً[7]، فاتخذ الدعاء رمزا للفرج، كرمزية الماء والغيث، في حالة القحط عند قبض السماء ونزول البلاء بالعبد، والماء ودفع البلاء بالنسبة للإنسان إكسير الحياة، ولا يعلم لهما وقت، فهما مشروطان بنية العبد وإخلاصه في طاعته لربه.

---

[1] أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب الطالقاني: **المحيط في اللغة**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ/1994م، ج5، ص120.

[2] ابن سيده: المصدر السابق، ج6، ص48.

[3] الجوهري: المصدر السابق، ص862.

[4] ابن بشكوال: المصدر السابق، ص14.

[5] سورة الأنفال، الآية: 09.

[6] ابن بشكوال: المصدر السابق، ص165.

[7] نفسه، ص147.

ج- التهجد:

هَجَدَ وتَهجَدَ، أي سهر[1] هجودا، وأهْجد نامَ[2]، والمتهجّد القائم إلى الصلاة من النوم[3]، وهجد، وتهجد القوم استيقظوا للصلاة[4]، فهذا اللفظ جمع بين ضدين النوم لمن غفل عن طاعة الله، والمتهجد القائم في طاعة الله، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[5].

ورد هذا الوصف في عنوان كتاب "التهجد وما ورد في ذلك من كتب الصحاح وعن العلماء والزهاد رضي الله عنهم"، لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط (ت 581هـ/1186م)[6]، ويدور معناه من خلال عتبتي العنوان والمقدمة حول أحوال ومقامات المتعبدين والصلحاء والعلماء من السلف الصالح المتهجدين المتضرعين الساجدين في حضرة الرحمن، منفصلين عن واقعهم الأرضي، متصلين بالله متحققين وجوده بمجاهدة النفس وإعمال الجسد بالصلاة والقيام، لتجُلى بها قلوبهم، فهي ملجأ الخائفين وبضاعة العاملين[7].

لذلك لابد من تحري طريقها الصحيح وضابطها الصريح، والتنبيه على من أحدثوا فيها بالزيادة والنقصان، في مسلك تعبدي ذوقي لتذوق حلاوة العبادة والقرب إلى الله. وربما ذلك ما حمل ابن الخراط على تصنيف مؤلف حول الموضوع، حتى يرشد الناس إلى الطريقة المثلى في مسلك التهجد، مستأنسا في ذلك بما جاء في الكتب الصحاح.

---

[1] الجوهري: المصدر السابق، ص1189.

[2] ابن سيده: المصدر السابق، ج6، ص48.

[3] ابن منظور: المصدر السابق، ص4616.

[4] نفسه: ص6416.

[5] سورة الإسراء، الآية: 79.

[6] تحقيق: مسْعد عبد الحميد السعدني وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.

[7] المصدر نفسه، ص11.

د- التذكرة:

مسلك ومنهج تعبدي تبناه وأولاه الإسلام أهمية بالغة، لما له علاقة بمصير الإنسان في الدنيا والآخرة، ولما له من وقع في نفوس وقلوب العباد، ووضعهم على طريق الصواب طريق الحق، ورد هذا الوصف في عنوان كتاب: "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت 671هـ/1273م)[1]، والذكر في المعجم اللغوي، هو ما يجري على اللسان[2]، والذكرُ هو كل ما استذْكرُ به عند الحاجة[3]، ويعني حفظ الشيء، والصون في الخير والشر[4]، ويحيل أيضا على الفخر والشرف[5]، في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[6].

ويعني الذّكْرُ أيضا التَّذكُّرُ والذكرى والاستذكارُ، فهو نقيض النسيان[7]، لقوله تعالي: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[8]، وأيضا يفيد الدراسة على نحو قولهم: استذكر الشيء، أي درسه[9].

وقد يكون الذكر بالقلب أو باللسان طلبا للمنفعة، نحو قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[10]، ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَّخْشٰى﴾[11]، ويحمل اللفظ معنى تذكير وتنبيه عن الغفلة بالعقاب والموت والجزاء. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَّاتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ

---

[1] تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1425هـ/2005م.

[2] ابن سيده: المصدر السابق، ج6، ص887.

[3] الجوهري: المصدر السابق، ص407.

[4] ابن سيده: المصدر السابق، ج6، ص887.

[5] ابن منظور: المصدر السابق، ص1509.

[6] سورة الشرح، الآية: 04.

[7] ابن منظور: المصدر السابق، ص1508.

[8] سورة الذاريات، الآية: 55.

[9] ابن سيده: المصدر السابق، ج6، ص887.

[10] سورة طه، الآية: 01.

[11] سورة طه، الآية: 02.

جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[1]، وقال أيضا:﴿وَمَنْ يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾[2].

وهو يحمل الكثير من الدلالات والمعاني الظاهرة، والمبطنة التذكر والإيمان باليوم الآخر بالموت بالفناء والميعاد، بالنعيم المقيم، أو العذاب الأليم، الحشر والنشر، ووعظ وتذكير الناس بأمور دينهم خاصة، والتنبيه على من حاول إنكار الميعاد والبعث. المسألة التي شكلت جوهر النقاش في العقيدة، خاصة في ظل وجود الفلسفة الوجودية والمشائية والكلام، واختلاطها بالفكر الصوفي، على عهد الدولة الموحدية[3].

ربما ذلك ما يفصح عن نية القرطبي من تأليفه لهذا الكتاب، وهو تذكير الناس ووعظهم وإرشادهم وحملهم على طريق الحق، والنأي بهم عن الانحراف، حفاظا لعقيدتهم، وترسيخ فكرة إيمانهم باليوم الآخر الميعاد والبعث، وفق منهج الكتاب والسنة[4].

هـ- التبصرة:

ورد هذا النعت في عنوان "رسالة الاعتبار" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الجبلي القرطبي المعروف بابن مسرة (ت 319هـ/932م)[5]، ومن مشمولات معاني ودلالات هذا اللفظ المعجمية: البصر حس العين، والجمع أبصار، وأبصره نظر إليه[6]، التبصر والتأمل التعرف، وبصره تبصيرا[7] أي عرفه وأوضحه[1]، ويحيل على العلم،

[1] سورة طه، الآية: 73.

[2] سورة طه، الآية: 75.

[3] القرطبي: المصدر السابق، ص109.

[4] نفسه، ص51.

[5] ضمن كتاب نصوص من التراث الصوفي الغرب إسلامي، تحقيق: محمد العدلوني الإدريسي، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م.

[6] ابن سيده: المصدر السابق، ج8، ص315.

[7] الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص135.

بصرت الشيء أي علمته، والبصير العالم، وتدل أيضا على الإضاءة[2]، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[3]، وتعني مشاهدة الأشياء ظاهرها وباطنها، والبصر نقيض العمى[4].

والتبصر بهذا المعنى هو عبادة عقلية أمرنا الله بإعمالها، لمعرفة حقيقته وقدرته والتأمل في الكون، والتفكر في نشأته، والتبصر في عوالم العالم السفلية والعلوية، والتدرج في معرفة كنهها صعوداً ونزولاً، والاعتبار بما جاءت ونبأت به الرسل. ولعل ذلك ما حمل ابن مسرة على تأليف مصنفه لبيان شرف التبصرة (العقل)، والاعتبار (الوحي)، كمسلك تعبدي ومنهج معرفي لكشف أسرار الكون، ومعرفة الله، وتحديد علاقة الإنسان بالكون وبربه[5].

2- عائد العبادة:

إذا كانت الاستغاثة والقربة والتبصر والتذكرة والتهجد، ألفاظ في مشمولها تحمل إيحاءات وإيماءات إنسية في مسلك تعبدي جمع ما بين النفس والجسد والعقل والذوق، فأين تتجلى مرموزاتها في العائد والمحصل التعبدي؟

أ- الورع:

ورد هذا اللفظ في عنوان مصنف: "كتاب الورع"، لأبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي (ت 238هـ/853م)[6]، والوَرَعُ بحسب الدلالة المعجمية يقترن

---

[1] الجوهري: المصدر السابق، ص98.

[2] ابن مسرة: المصدر السابق، 98.

[3] سورة النمل، الآية: 13.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، ص209.

[5] ابن مسرة: المصدر السابق، ص 58، 59.

[6] تحقيق: أحمد بلهي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 1414هـ/2020م. ومن المصنفات المشرقية التي أوردت اللفظ في عناوين مصنفاتها، نجد: **كتاب الورع**، لأبي بكر عبد الله بن محمد الأموي البغدادي المعروف بابن

بالتقوى، والوجل،[1] والجبن، والضعف. والوَرِعُ: الرجل التقي، ومنه ورِعَ يَرعُ ورِعاً، يقال فلان سيء الرَّعَةِ، أي قليل الوَرع[2]، ويفيد الكف والتحرج عن المحارم، كما يعبر به عن الهيئة وحالتها من حُسْنُ أو سوء نحو قوم حَسنة رِعَتُهُمْ[3].

كما يحمل معنى الحجب عما حرم الله، وبغض الدنيا، لقوله ﷺ: «خير دينكم الورع»، و«الورع سيد الأعمال»"[4]. وفي موضع آخر أن "الصبر رأس التقوى، والعمل حقيقته، والورع كَمَالُهُ"[5]، ومن لم يتورع عن المحرمات في مأكله ومشربه وملبسه وكسبه وإنفاقه وكلامه، لم يتذوق رحمة ربه ورُدت دعوتهُ، وكان زاده النار في دار الميعاد[6].

فلفظ الورع له قيمة إنسية، غايتها الترفع عن الحياة الدنيا وشهواتها، والزهد فيها والبعد عن السلطان، ذلك ما قصد ابن حبيب في مصنفه بيانه، وبيان رمزية الورع كقيمة أخلاقية إنسانية دينية، ثمرتها الخوف من الله عز وجل، والضعف أمام جلالته، لبلوغ مقام الفردوس الأعلى، ورضى رب العالمين، لقولهﷺ: «من لقي الله ورعاً، أعطاه

أبي الدنيا (ت 281هـ/895م)، تحقيق: أبو عبد الله محمد بن أحمد الحمود، ط1، الدار السلفية للنشر، الكويت، 1407هـ/1988، و**كتاب الورع**، لأبي بكر أحمد بن محمد المروذي (ت 285هـ/899م)، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، ط2، مكتبة المعارف لنشر والتوزيع، الرياض، 1431هـ/2010م. ومما يمكن الإشارة إليه هو أن هذه المؤلفات، اتفقت كلها حول موضوع الورع من وجهة مقاصدية دينية أخلاقية، بذكر طائفة من أهل الورع وسيرهم، وترفعهم عن الدنيا، غير أن الاختلاف بين هاته المصنفات الثلاثة يكمن في أنَّ كتاب ابن أبي الدنيا عبارة عن سلسلة من الأحاديث الواردة في الورع، وفي مجموعة من الصفات الإنسانية كالسمع، والبصر، واللسان، واليد، والبطن، وبعض أخبار الورعين، بينما كتاب المروذي، هو كتاب جامع لكل أحكام المعاملات والعبادات، ما يكره إتيانه وما يستحب، على خلاف ما أورده عبد الملك ابن حبيب الذي كان أكثر دقة في تحليل وتفسير موضوع الورع، وتشخيص حالة المجتمع في جوانبه الأخلاقية، والدينية، والسياسية والاجتماعية.

[1] الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص1746.

[2] الجوهري: المصدر السابق، ص1240.

[3] ابن منظور: المصدر السابق، ص4814.

[4] أبو الحسن سلام بن عبد الله الباهلي الأشبيلي (ت 544هـ/1150م): **الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق**، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ط1، دار صادر، بيروت ،1432هـ/2011م، ص144، 145.

[5] عبد الملك بن حبيب: المصدر السابق، ص51.

[6] نفسه، ص54.

ثواب الإسلام كلهُ»[1]. فالورع برمزية الخوف والخشية والانتهاء عن إتيان ملذات الدنيا، يعد مدخلا إلى عائد إنساني آخر، لا يقل عنه شأناَ، بل يمكننا اعتباره إلا متضمناً فيه.

ب- التقوى:

ورد هذا النعت في عنوان مصنف "دعامة اليقين في زعامة المتقين"، لأبي العباس أحمد بن محمد اللخمي السبتي (ت 633هـ/1236م)[2]، ومن معاني التقوى، الحفظ والصون[3]، الخوف، الخشية، الطاعة، التوحيد، الإخلاص، والوقاية[4]. والتَقيُّ، هو من ثبت على الحق، ووقى نفسه من المعاصي[5]، وتحيل أحياناً أخرى على الحماية والوقاية، كما جاء في حديث الرسولﷺ:"كنا إذا أحْمَرَّ البأس علينا، اتقينا برسولﷺ؛ أي جعلناه وقاية لنا من العدو قدمنا، واستقبلنا العدو به"[6]. وهي معاني دلالية إنسية تحكم العلاقة بين الإنسان وربه وعلاقته مع غيره، وتفيد في المعجم الصوفي تزيين السريرة، وترك ما دون الله، والاقتداء بأهل التقوى حماية ودعامة[7].

فالفجور والفسق والكفر نقيض التقوى، وهذه الأخيرة يوحى بها إلى صلاح الدين، والطاعة واستقامة الفرد في أفعاله وتصرفاته، وهي صفات أولياء الله وخاصته، وقد جاءت الكثير من نصوص الآي التي تدعم هذه القيم الأخلاقية الإنسية، وتنبئ من

---

[1] الباهلي: المصدر السابق، ص144.

[2] تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، المغرب، [1409هـ/1989م].

[3] ابن سيده: المصدر السابق، ج6، ص599.

[4] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد على النجار، ط3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1416هـ/1996م، ج2، ص299، 300.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص300.

[6] ابن منظور: المصدر السابق، ص4902.

[7] عبد المنعم الحفني: المرجع السابق، ص44.

اتقى وحاز شرف الإيمان والتقوى بالفوز والمفازة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِے مُقَامٍ اَمِينٍ﴾[1].

كما أعد لهم مفازة في دار القرار، والنجاة والحفظ والصون من أي سوء، لقوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّے ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ، لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]، ولا مراء أن يتخذ أبو العباس العزفي، أبا يعزى يلنور رمزا للتقوى والصلاح، لكراماته الفاعلة في المجتمع، أو تمجيدا لشخصه، أو ترسيخاً لقيم الصلاح، والتقوى والاستقامة، اقتداء واهتداء، كما وسع من دائرة التقوى لتشمل الصدق في نقل أخبار الصلحاء وكراماتهم، وذلك ما سار عليه في مؤلفه[3].

ج- الهدايِة:

ورد ذكر هذا اللفظ في عنوان مصنف: "الهداية إلى بلوغ النهاية"، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 438هـ/1047م)[4]، ويعني الهدي والسداد والاستقامة[5]، نقيض الضلالة، وهَدَيْتُ لك أي بيّنت لك[6]، وهَدَاهُ وهَدْياً وهِدايةٌ وهِديةٌ، أرشده إلى طريق الله[7]، على نحو هداه إلى الطريق المستقيم[8]، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ

---

[1] سورة الدخان، الآية: 51.

[2] سورة الزمر، الآية: 61.

[3] العزفي: المصدر السابق، ص2.

[4] تحقيق مجموعة من الباحثين، ط1، منشورات جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة ،1430هـ/2008م. كما ورد اللفظ في عنوان كتاب **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، لعبد الكريم بن محمد التميمي القسنطيني (ت 1073هـ/1662م)، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/ 1987م.

[5] ابن منظور: المصدر السابق، ص4639.

[6] الصاحب: المصدر السابق، ج4، ص42، 43.

[7] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص1683.

[8] الجوهري: المصدر السابق، ص1194.

لَهُمْ كَمَ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِے مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ ۖ اَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾[1].

فالهداية منحة ربانية يهبها لمن اتقاه، وأخلص في عبادته بالدعاء على نحو هداية المكي أبي طالب، الذي هُدي إلى كشف وفهم علم معاني القرآن الكريم، فكان هداية في بلوغ النهاية[2]، فالهداية خاصة أهل العلم والدراية، وقطع الطريق أمام من وصموا بالغباوة والعماية، على حد تعبير الفكون، نظير ما عرفه المجتمع من اندراس العلم وكثرة المبتدعة المندسين، الذين ادعوا العلم والدراية، وحسبوا أنفسهم في زمرة الأولياء والصالحين، وتنبيه على وضع صار إليه المجتمع، وهو ما حاول بيانه وإرشاد الناس إليه في مصنفه[3].

د- الصلاح:

ورد اللفظ في عنوان كتاب "سنن الصالحين وسنن العابدين"، لأبي الوليد سليمان بن خلف التجيبي الباجي (ت 474هـ/1082م)[4]. واللفظ يحمل عدة معان؛ فهو ضد

---

[1] سورة السجدة، الآية: 26.

[2] وذلك من خلال تتبع منهج خاص في تفسير القرآن الكريم من خلال تفسير: القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، والقرآن بمأثور ما أول من التابعين، وهذا ما يسمى بالتفسير الإشاري في الفكر الصوفي. ومن ناحية أخرى فقد اعتبره بعض المتصوفة على مختلف مشاربهم نوعا من المعرفة الذوقية. مكي بن أبي طالب: المصدر السابق، ص73.

[3] الفكون: المصدر السابق، ص31، 33.

[4] تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ/2003م؛ وعنوان كتاب **شرح الباقيات الصالحات المسمى إيضاح المعاني الزاهرات والإفصاح بحقائق العبادات في شرح الكلمات الباقيات الصالحات**، لأبي العباس أحمد بن معد التجيبي المعروف بابن الأقليشي (ت 551هـ/1157م): تحقيق: محمد بن عزوز، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 1424هـ/2003م؛ وكتاب **التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية**، لمحي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م)، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م؛ وكتاب **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، لعبد الحق بن إسماعيل الخزرجي البادسي (حي 722هـ/1322م)، تحقيق: سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م؛ وكتاب **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل**

الطلاح[1]، ورجل صالح في نفسه من قوم صُلَحَاءَ، والمُصْلحُ في أعماله وأموره[2]، والصالح من أدى إلى الله ما افترض عليه، وإلى الناس حقوقهم[3]، وأصلح الشيء بعد فساده أي أقامه[4]، فالصالح من صَلحَ دينهُ، ورفع عنه الخوف في الدارين، لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَاتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ إِتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5].

ومن صلحت أفعالهم من التابعين والصالحين كما، في عنوان مصنف الباجي، حيث وجب الاتعاظ والاقتداء والأخذ بأقوالهم وأفعالهم، فينال بركة الصالحين[6]، لقوله تعالى :﴿وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[7]، فلفظ الصلاح له قيمة إنسانية، لما أودعه الله سبحانه من أسرار في حضرة المملكة الإنسانية، فالإنسان موكل بإصلاح نفسه وغيره، مما حدا بالبادسي (حيٌّ 722هـ/1322م)، أن يجعل الاستقامة والصلاح شرط الولاية أو الخلافة، والاستقامة تفضي إلى التوبة عن المعاصي، واجتناب المحارم[8]. الصلاح رمز الإنسان المصلح وما وظيفته الوجودية إلا التصدي لأحوال الفساد ومظاهره، فالصلاح والصلحاء رمز البركة والرحمة الإنسية، والولاية والباقيات الصالحات هي من قسم الآخرة، وهي تجارة العباد الصالحين الباقية،

فاس، لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن عيشون الشراط الفاسي (ت 1109هـ/1697م)، تحقيق: زهراء النظام، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1417هـ/1997م؛ وكتاب **تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان**، لأبي عبد الله محمد بن صالح عيسى القيرواني الكناني (ت 1292هـ/1875م)، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.

[1] ابن سيده: المصدر السابق، ج3، ص152.

[2] ابن منظور: المصدر السابق، ص2479.

[3] ابن سيده: المصدر السابق، ج3، ص152.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، ص2479.

[5] سورة الأعراف، الآية: 33.

[6] الباجي: المصدر السابق، ص884.

[7] سورة العنكبوت، الآية: 08.

[8] البادسي: المصدر السابق، ص19.

رمز بقاء الإنسان مع فنائه، وهو ما أعرب عنه متصوفة الغرب الإسلامي في مصنفاتهم الصوفية وعكسته ممارستهم ودورهم في المجتمع[1].

هـ- السعادة:

ورد هذا النعت في عنوان كتاب "مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة"، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن العريف الصنهاجي (ت 536هـ/1088م)[2]، والسّعيدُ نقيض النَّحس[3]، والسعد من اليُمنُ، والسعادة خلاف الشقاوة[4]، نحو سَعِدتُ به وسُعِدتُ، وهو سعيد ومسعود، وهم سعداءُ[5].

والسعادة توصف بها الأيام والكواكب[6]، وتأتي بمعنى المساعدة والمعاونة[7]، فيما يظن به السعادة في نحو قولهم: لبيك وسعديك أي أسعدك الله إسعادا بعد إسعاد[8]. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سَعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[9]، ويحيل لفظ السعادة على نحو مخالف تماما، نحو أسْعدت النائحة الثكلى على البكاء، أي أعانتها على البكاء والنّوح[10]، وإذا كانت السعادة، تكمن في عبودية الله والخضوع له، فلابد من معاتبة النفس ومساءلتها،

---

[1] ابن الأقليشي: المصدر السابق، ص44.

[2] تحقيق: عصمت عبد الطيف دندش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1413هـ/1993م.

[3] الصاحب: المصدر السابق، ج1، ص352.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، ص2011.

[5] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ج3، ص221.

[6] ابن سيده: المصدر السابق، ج1، ص467.

[7] الصاحب: المصدر السابق، ج1، ص352.

[8] ابن منظور: المصدر السابق، ص2011.

[9] سورة هود، الآية: 108.

[10] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ج3، ص221.

والحزن على المعاصي، وترك العلائق والهم الصادق، فهي مفتاح تحقق السعادة والإرادة[1]، العابد على نحو ما ألمح إليه ابن العريف في مقدمته[2].

ثانيا- الإنسان الخالد.. المصير والمآل:

يتناول هذا المبحث شرح وتفكيك الألفاظ ذات الدلالات الإنسية، التي تجسد خلود الإنسان ومصيره في رحلة سفره من عالمه الواقعي إلى عالمه الآخر، خلود في نفسه وأعماله وأفعاله وإيمانه. كما أوردها أصحابها في عناوين ومقدمات المدونة الصوفية المنقبية بالغرب الإسلامي.

1- الإنسان الخالد:

الإنسان في العقيدة الصوفية له قدرة ومقدرة على الارتقاء والتدرج في مقامات السالكين، نظير المجاهدة النفسية والرياضة الجسدية، لتجاوز واقعه والانتصار على شهواته، وهجرانه للدنيا، منكرا ذاته بالكلية. ذلك ما سوف نقوم بمحاولة تحليله والكشف عنه من خلال ألفاظ تحمل إشارات وعلامات الارتقاء، وتبدل الحال في عناوين ومقدمات كتب الرقائق والتصوف.

أ- اليقين:

ورد اللفظ في عنوان رسالة "اليقين"، لمحي الدين محمد بن علي عربي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م)[3]. واليقين هو نقيض الشك[1]، وصفة العِلْم فوق المعرفة

---

[1] يذهب ابن العريف هنا إلى أنَّ السعادة تتحقق بالعبودية، وفق الأصول الستة: العلم بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما ثبت عن الصحابة، والفقهاء، وأهل الاجتهاد، وما ثبت عن الصالحين. وطريق السعادة هي حماية النفس بالعلم، ومعرفة الحقائق، فمن تحقق من السؤال وصل إلى العلم، ووفقه الله إلى العمل بحقيقة العلم، ووقع في طريق الإرادة، وبذلك تحصل السعادة. ابن العريف: المصدر السابق، ص83.

[2] نفسه، ص84.

[3] ضمن رسائل ابن عربي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1424هـ/2004م، مج4، ص25-76؛ وفي عنوان كتاب **دعامة اليقين**، للعزفي، مصدر سبق ذكره.

والدراية[2]، ورجل يقُنَ أي لا يسمع شيئاً إلا أيقن به ولم يكذبه[3]، ويقن الماء سكن واستقر[4]، والموقونة الجارية المصونة المخدرة في خدرها، دلالة على الشيء الذي لا يراه أحد[5]، ويفيد الظن باليقين واليقين بالظن[6]، لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُۖ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢاۖ﴾[7]، واليقين هو الحق ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِۖ﴾[8]، فاليقين بهذا المعنى هو استقرار الشيء في النفس لحدٍ يستحيل معه الشك حول أمر ما، فاليقين يضع الإنسان بين مقام العلم والطمأنينة، وإذ استقر علم اليقين في القلب لا يزول، ومتى فُقِدَ من محل المؤمن انتفى عنه الإيمان والعلم، وأعقبه الشك، فاليقين مقر العلم في الخلد، وخلود الإنسان في العبادة حتى بلوغ مقام حقيقة اليقين، التي تمثل أعلى مقام المعرفة، كما ألمح إلى ذلك ابن عربي في عنوان ومقدمة رسالته[9].

---

[1] الجوهري: المصدر السابق، ص1280.

[2] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ج5، ص395.

[3] ابن منظور: المصدر السابق ص4965.

[4] أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي: **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م، ج4، ص356.

[5] ابن منظور: المصدر السابق، ص4965.

[6] الجوهري: المصدر السابق، ص1280.

[7] سورة النساء، الآية: 156.

[8] سورة النمل، الآية: 81.

[9] ابن عربي: المصدر السابق، ص45.

ب- الفناء[1]:

فقدُ النفع من الشيء، والفناءُ، ضد البقاء[2]، وعُدِمَ وأفناهُ غيرهُ[3]، وأفنى الناس بعضهم بعضاً أي قتلوا بعضهم في الحرب[4]، وعلى المجاز هَرِمَ، أشرف على الموت، والكبير فانٍ، نحو قول لبيد يصف فناء الإنسان:

حَبائِلُـهُ مَـبْـثوثَـةٌ بِـسَـبِـيلِـه ويَفْنَى إذا ما أخْطَأَتْهُ الحَبائِلُ[5]

والبقاء ثَباتَ الشيء على حاله[6]، والفناء عكس النماء لحديث معاوية: لو كنت من أهل البادية لبِعْتُ الفانِيةَ المُسِنَّة من الإبل، واشْتَرَيْتُ النَّامِيَةَ الفَتِيَّةَ[7]. والْفناء من فَنِيَ يَفْنَى، فالدار تفنى إذا تناهَيْتَ إلى أَقصى حُدُودِها، ففَنِيَتْ[8] على وجه المجاز، فالإنسان في رحلة فناء إلى دار البقاء، لقوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[9]، فناء إلى حضرة الإقامة ومقام الخشية الربانية والرضا الإلهي، إذ نزلها الإنسان شرب من نهر الديمومة، ونزل منازل الفناء في حب الله، والارتقاء لمرتبة الإحسان. الفناء الخلود في الله كما قرره ابن عربي[10].

---

[1] جاء هذا الوصف في عنوان رسالة **الفناء في المشاهدة**، لمحي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م)؛ ضمن رسائل ابن عربي، نشرها: محمد عبد الكريم النمري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001م، ص17-23.

[2] الصاحب: المصدر السابق، ج10، ص385.

[3] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص1270.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، ص3477.

[5] ابن سيده: المصدر السابق، ج10، ص497.

[6] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ج2، ص220.

[7] ابن منظور: المصدر السابق، ص3477.

[8] نفسه، ص3477.

[9] سورة طه، الآية: 82.

[10] ابن عربي: **الفناء في المشاهدة**، ص27. وفي هذا يتفق مع ابن العريف في مسألة الفناء في محبة الله "فالمحبة هي أول أودية الفناء في محبة الحق سبحانه وتعالى، تعظيم الله في القلب يمنع صاحبه من الانقياد لغير محبوبه

ج- الموت:

جاء هذا الوصف في عنوان مصنف "التذكرة بأحوال الموتى"، للقرطبي -متقدم الذكر أعلاه-[1]. والموت من الألفاظ المعبر بها عن المصير والمآل وتقلب الحال، فهو على عكس الحياة، مات ويموت ويُماتِ، والمواتَ بالفتح ما لا روح فيه[2]، أي لا نفع منه، وعلى سبيل المجاز الأرض مَوتَانُ[3]، المعني يحيل على الإحياء نحو قولهم "وموتَانُ الأرض لله ولرسوله، فمن أحيا منها شيئا فهو له"[4].

والمُوتةُ: جنس من الجنون[5]، والصرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إلى كمال عقله كالنائم والسكران[6]، وروي في ذلك عن الرسول ﷺ: حديث: «أحضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، وبشروهم بالجنة، فإن الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع... والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا، حتى يتألم كل عرق منه على حياله»[7]. إن الموت خَلق من خلق الله[8]، يحيل على السكون، وزوال القوة[9]، لقوله جل وعلا: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا﴾[10]، فالموت وفقا لهذا المنحى

وهي القيام بين يديه متعبدا متذللا في المضجع، وفي جميع أحوال العبد". يراجع ابن العريف: المصدر السابق، ص78.

[1] كما ورد في عنوان كتاب "**العاقبة أو الموت والحشر والنشور**"، لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الأزدي الإشبيلي (ت 581هـ/1186م)، تحقيق: عبيد الله أبو عبد الرحمان المصري الأثري، ط1، دار الصحابة للتراث، مصر، 1410هـ/1990م.

[2] الجوهري: المصدر السابق، ص1103.

[3] ابن سيده: المصدر السابق، ج09، ص544.

[4] الجوهري: المصدر السابق، ص1103.

[5] ابن سيده: المصدر السابق، ج09، ص544.

[6] الجوهري: المصدر السابق، ص1103.

[7] القرطبي: المصدر السابق، ص178.

[8] ابن منظور: المصدر السابق، ص4295.

[9] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التميز**، ص535، 536.

[10] سورة مريم، الآية: 66.

وهو منغصة أهل الحياة لطلبهم نعيما لا موت فيه، فالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، فهي انتقال من دار إلى دار[1].

وهي الحقيقة التي حاول مصنفو هذه المؤلفات بيانها، فالموت واقع لا محالة، وإنَّ طال الأمد، وما الحياة بعد موت إلا حياة الروح، التي تحيى بحياة أفعالها[2].

2- المصير والمآل:

الحياة في الواقع الصوفي ما هي إلا جسر عبور إلى الحياة الأخرى، وذلك ما سوف نحلله من ألفاظ ذات دلالات إنسية متصلة بفقه المآل.

أ- العاقبة:

ورد هذا النعت في عنوان مصنف "العاقبة"، لابن الخراط -متقدم الذكر أعلاه-[3]، وهو لفظ مشتق من العُقْب، والعَقِب[4]، وتعاقب دليل على تبدل الحال، وعاقبة كل شيء[5]، أي آخره، لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾[6]، وتفيد الأخذ بالذنب وتعقب الخبر، أي الشك في أمره[7]، والعقبى من الجزاء جزاء الألم[8]، والعاقبة لفظ اختص بها الإنسان دون غيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ ٱلَارْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[9]، والعاقبة

---

[1] القرطبي: المصدر السابق: ص112.

[2] ابن الخراط: **العاقبة**، ص53.

[3] المصدر نفسه، ص53.

[4] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص1117.

[5] الجوهري: المصدر السابق، ص790.

[6] سورة الكهف، الآية: 43

[7] الجوهري: المصدر السابق، ص791.

[8] نفسه، ص791.

[9] سورة الأعراف، الآية: 127.

لمن باع الدنيا واشترى الآخرة، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِے ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً ۖ وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾[1]

وبناء على هذه المعاني، فالعاقبة في الفكر الصوفي يقابلها الموت الذي يحمل رمز الذل والانكسار والهلاك والشقاء لكل من تجنّى وتجبّر، والسعادة والنجاة لأولياء الله وأصفيائه، لأن البقاء والديمومة صفة إلهية.

وهنا نجد ابن الخراط ربما قصد بخطابه تحذير كل من ظلم وتسلط بطائفة المتصوفة من طرف السلطة بالغرب الإسلامي، ولعل ما يثبت كلامنا قوله في مقدمة مصنفه "لم يمنعهم ما حصنوه من المعاقل والحصون، ولا حرسهم ما بعثوه من الحراس والعيون"، لذلك جاء مصنفه فيه وعظ وترغيب وترهيب، وبيان مآل كل إنسان[2].

ب- الثواب[3]:

من جزاء الأفعال، فهي تحيلك على معان متعددة، كالجزاء، والإثابة، والعوض، والامتلاء[4]، فالثواب لفظ صالح الوصف في الخير والشر، وعلى الخير أكثر[5]، وربما حُمل على وجه التشبيه فيما يُثوبُ من العسل دفعة دفعةً، وعلى طرف النقيض أطلق المَثابَ على بيت العنكبوت[6]، وثواب جزاء الطاعة[7]، ومن هذه المعاني فالثواب قيمة معياريه يقاس بها عمل الإنسان، فبقدر ثقل العمل وخلوص النية نال المرء جزاءه،

---

[1] سورة القصص، الآية: 83.

[2] ابن الخراط: **العاقبة**، ص22.

[3] ورد هذا النعت في عنوان مصنف **لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن**، لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الملاحي الغافقي (ت 619هـ/1223م)، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب ط1، دار البشائر الإسلامية لنشر والتوزيع، بيروت، 1481هـ/1998م.

[4] الصاحب: المصدر السابق، ج10، ص190.

[5] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ج2، ص336.

[6] ابن منظور: المصدر السابق، ص519.

[7] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ج2، ص336.

كمن تعهد بكتاب الله العزيز قراءة ومدارسة، نال حظه من الاستقامة، وحفته الملائكة بأجنحتها، وزف إلى مقامه من الجنة مستقراَ ومقاماَ.

ج- الجنة:

من الألفاظ التي كثرت اشتقاقاتها، لما لها من صلة بواقع الإنسان المحايث، وتبدل حاله من حال إلى حال، في عالمه الغيبي المفارق، ورد اللفظ في عنوان مصنف "جَنَى الجَنَّتَين في فضل اللَّيلَتين -ليلة القدر وليلة المولد-"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (ت 781هـ/1380م)[1]، كما ورد في عنوان كتاب "جَنَّةُ الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى"، لأبي يحي محمد بن عاصم الغرناطي (ت 857هـ/1454م)[2]، ولفظ الجنة يفيد معنى الجِناية، والذنب جنى الرجل جناية[3]، تحيل على الستر والتستر، كقولهم: جنى عليه الليل أي ستره[4]، الجِنَنُ بالكسر، وتشير إلى القبر والموت والكفن، نحو قول أحدهم[5]:

ما إن أبالي إذا ما مُتُ ما فعَلُوا أأحْسَنوُا جَنـنيِ أم لم يُجنّـوني

وتعني أيضا الدرع وكل ما وقاك جُنة، فالصوم جُنة يقي صاحبه من أذى الشهوات[6]، والجَنّةُ: الحديقة، والبستان، والجنات كثيرة النخل والشجر[7]، وقد ورد الكثير من الآي في معنى الجنة قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَٰنِ﴾[8]، بمعنى الجزاء والثواب، لعباد الله المخلصين، وبمعنى الوعد والوعيد في قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ

[1] تحقيق: إبراهيم بن الشيخ راشد اليمريخي، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، الأردن، 1437هـ/2017م.

[2] تحقيق: صلاح جرار، دار البشير، عمان، 1410هـ/1989م.

[3] الصاحب: المصدر السابق، ج7، ص186.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، ص701.

[5] ابن سيده: المصدر السابق، ج7، ص211.

[6] ابن منظور: المصدر السابق، ص702.

[7] ابن سيده: المصدر السابق، ج7، ص218.

[8] سورة الرحمان، الآية: 45.

أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾[1]، والخلود في الجنة في نعيم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[2]، ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾[3]، وقد اتخذ ابن مرزوق لفظ الجنة الوارد في عنوان مصنفه على سبيل الرمز والتشبيه، لما أبانه الله من الحق في هذا الوجود بمولد الرسولﷺ، فافترق به فريق الجنة وفريق النار، كل حسب ما جناه.

فالجنة أيضا لها مقامات مختلفة تختلف بحسب جنس العبادة والذكر والمجاهدة، والقرب من الله، كما هو التفاضل بين الليلتين "القدر والمولد"، فلكل واحدة منهما مقام وحال وفضل لا يمكن ستره[4].

[1] سورة القلم، الآية: 17.

[2] سورة آل عمران، الآية: 136.

[3] سورة نوح، الآية: 12.

[4] ابن مرزوق: المصدر السابق، ص22.

الفصل الثاني:

عتبات كتب الرقائق والتصوف في دلالاتها الكونية

أولا: دلالات سماوية علوية

ثانيا: دلالات أرضية سفلية

توطئة:

يعالج هذا الفصل التجربة الصوفية في تمثلاتها الطبيعية، فالإنسان فيبحثه عن الحقيقة الإلهية، والوجودية، هو في رحلة سفر دائمة من عالم واقعي يعايشه إلى عالم مفارق ممكن بناؤه ليبلغ، أوج كماله في الجنس البشري، فالإنسان وفق الرؤية الصوفية إنسان جامع، تتجلي الأشياء في ذاته الإنسانية، فهو عالم صغير ذلك ما سوف نفككه ونشرحه من خلال الألفاظ ذات الدلالة الكونية، وهي تمثل رؤى واتجاهات صوفية متعددة للوجود وعلاقته بالسلوك الإنساني ،أخفاها أصحابها خلف رمز الطبيعة للتعبير والدفاع عن تجاربهم في بعدها المعرفي والسلوكي والأخلاقي وحتى السياسي.

أولا- دلالات سماوية علوية:

يورد هذا المبحث أهم الألفاظ الكونية السماوية العلوية الواردة في عناوين ومقدمات كتب التصوف والرقائق، الكاشفة لمعاني الحياة الثاوية خلف المعنى الظاهر في لغة رمزية تنبئ عن نظرة المتصوفة لحقائق الوجود ومظاهره، وعلاقة الإنسان بهذا الكون، وعلاقة الإنسان بربه، في وحدة تكاملية متشابكة متعالقة يحدد فيها مقصد الإنسان وغايته في هذه الحياة.

1- كوسمولوجيا الأجرام السماوية:

يرتكز هدا المطلب على إيراد الألفاظ ذات الصلة بالكون الذي يشكل جزءا هاما من المعرفة الإلهية، والتأمل في الجمال الإلهي من خلال التعمق، فيفهم نشأة الكون وعلاقته بالخالق سبحانه وتعالى وعلاقة الإنسان بهذا الكل المتكامل.

أ- الشمس:

من الألفاظ الدالة على عدم الاستقرار وتبدل الأحوال في حركة دائمة بين الظهور والغياب غير مستقرة[1]، كما في قوله عز وجل: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[2].

وتارة تحيلنا إلى الوضوح والصفاء كما الشمس عين الصبح[3]، وعلى الكثرة بالنظر إلى أثرها في الجمع على الشموس، وكأنهم جعلوا لكل ناحية شمساً كما يقول الشاعر [الكامل][4]:

حَمِيَ الحديدُ عليهم كأنه وَمضَاتُ برقٍ أو شُعاع شُموسِ

وفي محاولة استقراء القرينة الموجودة بين الشمس، وباقي الكائنات في الوجود فهي علاقة ضرورية لجميع الكائنات، فكما أن الإنسان بحاجة إلى نور وحرارة الشمس، فالنبات أكثر لأشعة الشمس حاجة، وقد ورد هذا اللفظ في عنوان كتاب شموس "الأنوار وكنوز الإسرار"[5]، وكذا في" كتاب شمس المعارف الكبرى"[6]، وبغض النظر عن الخطاب الذي تحمله مثل هذه المصنفات فيما تعلق بالتنجيم والسحر[7]؛ فهي ترمز إلى المعرفة والأسرار الربانية التي أودعها الله في الكون وفي علم الحروف، وفي أسمائه

---

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، 1399هـ/1979م، ج3، ص212، 213.

[2] سورة يس، الآية: 38.

[3] الصاحب: المصدر السابق، ج7، ص284.

[4] الجوهري: المصدر السابق، ص630.

[5] أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري ابن الحاج التلمساني (ت 737هـ/1337م): **شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى**، دار الجيل، بيروت، د.ت.

[6] أبو العباس احمد بن علي البوني (ت 622هـ/1225م): **شمس المعارف الكبرى**، ط 2، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، 1472هـ/2006م.

[7] المصدر نفسه، ص6.

عز وجل حسب المعتقد الصوفي، فهي تقر بوحدانية الله (الذات الإلهية)، حينما جعلوا لله اسما أعظما في فلك أسماء أخرى تنير حياة الإنسان، وتملأ قلبه بالإيمان، كما الشمس هي واحدة ونورها شامل يضئ حياة جميع الكائنات في الكون[1]، فهذه العلوم هي عالم قائم بذاته شبيه بعالم الإنسان الواقعي، الذي يثبت الوجود الإلهي وقدسيته.

ومن ناحية أخرى فقد استعير لفظ الشمس للدلالة على مكانة الصوفي أو العارف، ودوره في نشر المعرفة في المجتمع، وما يحمله من علوم موصلة إلى الحضرة الربانية، ومدى أهميتها للسالكين في طريق المعرفة الباطنية، فهي بمثابة الشموس، تنير قلوب المريدين كما في قوله تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۖ﴾[2].

ومما شاع في بلاد المغرب الاختلاف حول الطريق الذي يسلكه المريد والعلوم التي يتسلح بها في مسلكه التعبدي، وشاعت معها الأفكار والخرافات، مما اختلط ببعض من السحر والشعوذة، فاتجه العديد من المتصوفة، إلى تأليف مصنفات في هذا السياق، كل حسب طريقته ومسلكه المعرفي التعبدي، وكذا الإجابة على أسئلة أصحابها كما أورد اللجائي قوله: "سألتني أيها الأخ أن أصنف لك كتابا يضئ نوره في زوايا قلبك وينفي عنك ظلمة جهلك"، وفي هذا السياق ألف كتابه شمس القلوب طرح فيه العلوم ومسالك العبادة المجلاة لغفلة القلوب[3].

---

[1] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص1586.

[2] سورة إبراهيم، الآية: 33.

[3] أبو القاسم عبد الرحمان بن يوسف اللجائي (ت 599هـ/1202م): **شمس القلوب** تحقيق: محمد الديباجي، ط1، دار صادر، بيروت، 1423هـ/2003م، ص63.

ب- النجوم[1]:

رمز طبيعي وإشارة في اللغة الصوفية تخفي الكثير من الدلالات فالنجم في اللغة المعجمية، يطلق على النجم والكوكب، ومن صفاته الثقب، الارتفاع، العلو، الصعق، الخرق[2]، جمعه أنجم، وأنجام، ونجوم. ونجم أيضا يطلق على النبات الذي ينمو من دون ساق[3]، ويعرف من يهتم بتتبع النجوم المنجم والنَّجَّام، والنجوم ترمز إلى الوقت والسير[4]، أيضا والظهور والطلوع[5]، ويقال فلان مَنْجَمُ الباطل والضلالة[6].

هذا وقد ورد لفظ النَّجم في القرآن الكريم في الآيات التي تتصل بالكون، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[7]، والعبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَٰنِ﴾[8]، وكذلك بمعني التفكر والتأمل لقوله :﴿فَنَظَرَ نَظْرَةٌ فِے ٱلنُّجُومِ﴾[9].

من خلال هذه المفاهيم المتعددة لهذا الجرم السماوي، استعيرت هذه الأوصاف في صورة رمزية كونية علوية تجسيد لظاهرة إنسية أرضية متمثلة في كثرة العلماء والأولياء بالغرب الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين وبروزهم، كأمثال النجوم فيما أحرزوه من علم، ومعرفة وصلاح.

---

[1] ورد هذا الوصف، في عنوان كتاب: "**مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم**" لابن عربي، ط1، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م؛ وعنوان مخطوط: "**النجم الثاقب فيما للأولياء الله من مفاخر المناقب**"، لابن صعد التلمساني (ت 901هـ/1496م)، تحقيق ودراسة: محمد بلحاج، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م.

[2] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص218.

[3] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج7، ص469.

[4] الجوهري: المصدر السابق، ص1120.

[5] الصاحب: المصدر السابق، ج7، ص 132.

[6] نفسه، ص1120.

[7] سورة الواقعة، الآية: 78.

[8] سورة الرحمن، الآية: 4.

[9] سورة الصافات، الآية: 88.

وقد تنافس سلاطين المغرب في تقريبهم، والبذل في محبتهم لنيل بركتهم، ويتصدرهم السلطان الزياني محمد بن محمد المتوكل أبو عبد الله الذي حكم بعد (866هـ/1461م)، وكان نفسه نجماً من بين هؤلاء العلماء والأولياء لما اتصف به من الهدى، والدين والعدل، ومحاربة الفساد والضلالة، مدعماً بطائفة الأولياء والعلماء (في إشارة إلى الدور الفاعل لهؤلاء في السلطة)[1].

كما أشار ابن صعد في مقدمته: أنه امتثالاً لإشارة السلطان الذي كان في طاعته جمع فيما لأولياء الله من مفاخر ومناقب، لنشر مآثرهم وأيامهم واهتداء بسيرهم[2]، وبالمثل اتجه ابن عربي في مصنفه "مواقع النجوم"؛ إلى عرض القواعد والعلوم التي يتبعها أهل الطريق تحت ستار الرموز الفلكية جاعلاً النجوم مطالع للعلوم، التي يتلقاها الطالب الفهيم، والرباني الحكيم المحقق بأسرار الأخلاق والعلوم، في إشارة إلى أهمية هذه العلوم للعارف ولمن أراد شهود الحق الإلهي، فالطرق التي يسلكها السالك والعلوم التي يتلقاها هي كعدد النجوم في السماء فكل طريق يوصل صاحبه إلى الله.

ج- الكواكبُ:

جاء وصف الكوكب في عنوان مصنف ابن عربي "الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري"[3]، ويعني اللفظ النجوم البادية[4]، وكَوَكبُ الشيء: أي معظمه، وكوكب الروضة، أي نورها، وكوكب الحديد بريقه وتوقده[5]، ويطلق على السيف وسيد القوم[1]، ويقال أيضاً ذهب القوم تحت كل كوكب أي تفرقوا[2].

---

[1] في مقدمة الكتاب هناك إشارة إلى أن تصنيف هذا المصنف كان بطلب من هذا السلطان، لما كانت لهذه الطائفة من محبة وقربة عند ابن صعد التلمساني. يراجع ابن صعد: المصدر السابق، ص72.

[2] نفسه، ص73.

[3] تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ط1، بيروت: الانتشار العربي، بيروت، 1422هـ/2002م.

[4] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج3، ص363.

[5] الجوهري: المصدر السابق، ص1006.

ورد ذكر الكوكب في قوله تعالى: ﴿مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِے زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِےٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۖ يَهْدِے ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَّشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾[3].

ومن المعروف في تاريخ التصوف، كثرة الطرق الصوفية وتعدد مشاربها ومريديها وشيوخها، فظهر واشتهر منهم سادة كل له مسلكه التعبدي الخاص، من بينهم ذو النون المصري الذي تفرد بكثرة سياحته، وعلى وجه المجاز شبهه ابن عربي بالكوكب كرمز لشخصيته الفاعلة في الوسط الديني، الفكري الاجتماعي المغربي، لما اتصف به من سياحة في الواقع الأرضي كسياحة الكواكب في السماء العلوية، واجتماعاته بالصالحين وبركته وكثرة مريديه عن باقي زهاد عصره ومن سبقوه ولحقوه سالكاً طريقا متفردا في الخلوة والانقطاع، المحبة الصدق الحياء،فجعله كالكوكب الدري في توقده ونوره ومجاهدته، وفي منزعه الزهدي الذي ينحى إلى القول بأن معرفة الوجود تمثل طريق الرحمة الربانية لأهل الشهود[4]، ومن هذا المسلك أو الطريقة ظهرت العديد من المذاهب والطرق، في بلاد المغرب الإسلامي، ويأتي حديث ابن عربي على سيرة الزاهد ذي النون المصري في سياق طلب الرحمة والبركة.

---

[1] ابن منظور: المصدر السابق، ص3957.

[2] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج3، ص364.

[3] سورة النور، الآية: 35.

[4] الشهود من المشاهدة، هي مطالعة القلب للجمال القدسي، صفة العبد، والتجلي صفة الرب سبحانه وتعالى وهو معنى يتصف به المتجلي فالمشاهدة: هي تجلي الحقائق بلا حجاب. يراجع أيمن حمدي: **قاموس المصطلحات الصوفية –دراسة تراثية مع شرح الاصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء–**، **دار** قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ/2000م، ص86.

د- الأهلة[1]:

هي جمع هلال، وينعت بها أول وثاني ليلة من الشهر، ويقول الأصمعي: يقال له هلالُ إلى أنَّ يُحجر وتُحَجّرَ حتى يستدير له كالخيط الرقيق، وحينما يقهر ضوؤه سواد الليل يسمى قمراً ، والهلال مصدر في الأصل تسمى به هذا الكوكب[2]، كما يشار به إلى المطر عند أول نزول لها[3]، وعرف الهلال بعدة أسماء منها السمر، ولذلك سمى المتحدثون في ضوئه سُماراً[4]، وقد ورد ذكر الأهلة في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[5]، وعلى هذه الخلفية للفظ؛ الأهلة يسعنا أن نفهم تلك الصورة المستعارة لعبارة أهلة الأسرار والعلوم التي يرمي ابن عربي بها تشبيه متلقي العلوم الصوفية بالنجوم، والأهلة للرباني الحكيم المحقق بأسرار الأخلاق والعلوم، كما مر بنا في لفظ النجم[6].

هـ- الشُهُبْ:

وصف الشهاب جاء في مصنف "الشهاب: موعظة لأولي الألباب"، لأبي أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعي الأندلسي (ت 624هـ/1227م)[7]،

---

[1] جاء هذا الوصف، في مصنف ابن عربي: **مواقع النجوم** سابق الذكر.

[2] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج4، ص257.

[3] ابن منظور: المصدر السابق، ص4689.

[4] الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ج5، ص331.

[5] سورة البقرة، الآية: 188.

[6] مما تجدر الإشارة إليه هنا أنَّ ابن عربي قسم العلوم التي يحتاجها المريد إلى ثلاثة مراتب: وهي العناية وهي التوفيق، المرتبة الثانية الهداية وهي علم التحقيق، والمرتبة الثالثة، وهي الولاية، واستحضر صورة الأفلاك، وجعل هذه العلوم على تسعة أفلاك تدور ضمن مركز الأهلال إلى مستوي الأفلاك، منها ثلاثة أفلاك إسلامية، وثلاثة أفلاك إيمانية، وثلاثة أفلاك إحسانية، وما بقي فمطالع أهلة النهايات فالإسلامية جسمانية، والإيمانية، نفسانية، والإحسانية روحانية، وجعل لكل المطالع هلال. يراجع رسائل ابن عربي: **مواقع النجوم**، ص252، 254.

[7] تحقيق: عبد الإله بنعرفة، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 1426هـ/2005م.

والشهاب فصيل من النجوم يرمز بها إلى القوة، والشدة[1]، والشهاب شُعلَة من نار ساطعة[2]، أو عارض من الجو، ويكون تارة ثاقبا للأرض ومن يلحقه[3]، وكتيبة حرب، ورجل شهاب أي ماض لحربه[4]، تشبيه بالكوكب في مضيئة، والأرض الشهباء أي البيضاء التي لا خضرة فيها[5]، ويطلق اللفظ على النجوم السبعة المعروفة بالدراري[6]، ويطلق على الشيء الذي مازج بياضه بسواده على نحو اشتهب الرأس[7]، وقد ورد ذكر الشهب في آيات الذكر الحكيم نحو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[8]، وفي موضع التبيين في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[9].

حيث استحضر ابن سيدبونة الخزاعي في صورة رمزية تماثلية واقع الطريقة البونية، وشيخها أبي أحمد البوني ومريديها، وما تعرض له البوني من اختراق وانتحال لبعض أقواله ومرائيه، أي مناماته، والخروج على طريقته من قبل أحد تلامذته، فأنشأ يصنف كتاب الشهاب الذي ذكر أنه شهاب محرق على كل منشق على نهجه وطريقته، وبياض ناصع يضيئ طريق أولى الألباب[10].

---

[1] ابن سِيّده: المصدر السابق، ج4، ص191.

[2] الجوهري: المصدر السابق، ص618.

[3] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج2، ص295.

[4] الصاحب: المصدر السابق، ج3، ص395.

[5] ابن منظور: المصدر السابق، ص2347.

[6] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج4، ص191

[7] الصاحب: المصدر السابق، ج3، ص395.

[8] سورة الصافات، الآية: 10.

[9] سورة الحجر، الآية: 18.

[10] ابن سيدبونه الخزاعي: المصدر السابق، ص84.

و- الأفلاك:

ورد هذا اللفظ في عنوان مصنف ابن عربي "تنزل الأملاك في حركات الأفلاك"[1]؛ حيث قدم لنا ابن عربي صورة كونية رمزية قابعة خلف الطبيعة يتحد فيها الإنسان بطبيعته البشرية مع الطبيعة الماورائية الغيبية ممثلة في الأفلاك وحركتها، ومما نفيده من معاني اللفظ: الفلك أنه مدار كل شيء في السماء ومنها النجوم[2]، والفلك بالضم يطلق على السفينة[3]، والموج إذا اضطرب جاء وذهب يقال فلَكَ[4]، وفلك كل شيء أي مستداره[5]، ومما يجسد هذه الحكمة في العالم السفلي، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِے خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِے فَلَكٖ يَسۡبَحُونَۖ﴾[6].

وفي صورة مشابهة للواقع الإنساني السفلي، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِے يُسَيِّرُكُمۡ فِے ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِے ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنَ اَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَۖ﴾[7]، ووفق معاني لفظ الأفلاك نجد ابن عربي يقدم لنا النص العرفاني والشريعة (النصوص الفقهية) برموز مستعارة من الكون، فالماء مثلا جعله رمز للطهارة الظاهرة، وجعل الصلوات على مواقيت لأن التجلي والرؤى لأهل العرفان لا يرى إلا في أوقات ومناسبات وربطها بحركات الأفلاك، وتنزل الأملاك رمز للأوامر الإلهية ومما رامه ابن عربي من تأليف هذا المصنف وإحاطته بالرموز والإشارة غيرة من علماء الرسم (الفقهاء)، وعقوبة لهم نظير إنكارهم

---

[1] تحقيق: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، د.ت.

[2] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج7، ص39.

[3] الجوهري: المصدر السابق، ص900.

[4] الصاحب: المصدر السابق، ج6، ص267.

[5] ابن منظور: المصدر السابق، ص3465.

[6] سورة الأنبياء، الآية: 33.

[7] سورة يونس، الآية: 22.

للمعرفة الصوفية[1]، أو المنحى الصوفي العرفاني الذي أنكره الكثير من الفقهاء، ويقوم على المشاهدة، والتجلي والمكاشفة، وهو ما يُعرف بإدراك المقامات الثلاث مقام الإحسان والإيمان والإسلام "الشريعة، الطريقة، الحقيقة".

2- أثر الأجرام السماوية:

نتتبع في هذا المطلب الألفاظ التي لها صلة بأثر وتجليات السلوك والمعرفة الصوفية على الإنسان وما يصحبها من مقامات وأحوال ومكاشفات في صورة تماثلية رمزية نسقية للأجرام السماوية، وآثارها المختفية وراء رمزيتها النورانية الإشراقية.

أ- الضياء[2]:

من الضوء والضياء[3] النور[4] وضَاءَ الشيءُ يَضُوءُ ضَوْءًا وأضَاءَ، واضّأْتُ له، واستَضَأْتُ به كما في حديث الرسولﷺ : «لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[5].

وضوء والضياء البرق والنار، وضاء الصبح[6]؛ التَّضَوِي وهو أن يقوم في الظلمة حيث يرى بضوء النار[7]، والضوء في الفكر الصوفي يحمل الكثير من الدلالات التي يتكئ إليها أهل الذوق في التعبير عن ضياء الإيمان ونور الإشراق الذي يلوح في

---

[1] ابن عربي: **تنزل الأملاك**، ص22.

[2] ورد اللفظ في عنوان كتاب: **الضياء المستبين في كرامات محمد فاضل بن الشيخ مامين**، لمحمد فاضل ولد الحبيب اليعقوبي (ت 1306هـ/1889م)، منشورات جمعية الشيخ محمد فاضل مامين للتربية والثقافة والعلوم، نواقشوط، 1439هـ/2018م.

[3] الجوهري: المصدر السابق، ص686.

[4] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص985.

[5] ابن سيده: المصدر السابق، ج8، ص255.

[6] الفيروز بآدي: **القاموس المحيط**، ص985.

[7] الصاحب: المصدر السابق، ج8، ص64.

قلوب العارفين وأولياء الله الصالحين الذين يستضاء بضوء علمهم وكراماتهم، وأخلاقهم والتبرك بذكرهم والسير على طريقهم.

ب- النور[1]:

دلالة التجلي في منظومة المعرفة الصوفية، والمحبة الإلهية حمل اللفظ الكثير من المعاني اللغوية: الضوء والإنارة، والإشراق[2]، وهو نقيض الظُّلمة والنور هو الله الذي يبصر بنوره ذوو العماية ويرشد بهُداه ذوي الغواية، وقيل هو الظاهر الذي به كل الظهور[3]، ولفظ النور ورد ذكره في الكثير من المواضع في القرآن الكريم مما ينبئ عن معاني الإبصار والهدي بقوله تعالى :﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَأَرْضِۖ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِے زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٞ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾[4]، والنور بهذا المعنى تتجلى علاماته في الصلاة على النبي نور الأنوار الذي يُلبس المصلي عليه من ضيائه، كما ألمح إلى ذلك ابن الأقليشي الذي جمع حوالي أربعين حديثا في أثار من صلى على النبي المختار، أعظم نور، وهجير

---

[1] ورد هذا اللفظ في كثير من عناوين المصنفات الصوفية، منها: كتاب **لمحات الأنوار**، للغافقي (ت 619هـ/ 1223م) سبق ذكره؛ وكتاب **أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار نشر فيما يلي كتاب شرح الباقيات الصالحات**، لابن الأقليشي (ت 551هـ/1157م) سبق ذكره؛ وفي عنوان كتاب **أنوار النبي ﷺ وأسرارها وأنواعها**، لأبي محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي الأندلسي (ت 669هـ/1297م)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1428هـ/2007م، وفي عنوان كتاب **مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب**، لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ (ت 696هـ/1297م)، تحقيق: هـ.ريتر، دار صادر، بيروت، د.ت؛ وعنوان كتاب **الإسفار عن رسالة الأنوار فيما تجلى لأهل الذكر من الأنوار**، لابن عربي، تحقيق :عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1432هـ/2011م؛ وعنوان كتاب **نور الأرماش في مناقب القشاش**، للمنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي (ت 1032هـ/1622م)، تحقيق: لطفي عيسى وحسين بوجرة، ط1، دار المكتبة العتيقة، تونس، 1418هـ/1998م.

[2] الجوهري: المصدر السابق، ص1177.

[3] ابن منظور: المصدر السابق، ص4571.

[4] سورة النور، الآية: 35.

الأولياء في الإمساك والبكور، وما تبعه من كرامات[1]، كما جمع ابن سبعين أنوار النبيﷺ، المتجلية في كثير الحالات والمقامات والغايات وما تحمله من أسرار النور الإلهي في ثلاثة وثلاثون نورا[2].

لما كانت غاية الإنسان نيل السعادة الدائمة صاغ لنا، ابن الدباغ على سبيل التشبيه والاستعارة، تجلي نور المحبة الإلهية بمطالعة الجمال الإلهي هذا الحال لا يكون إلا للنفوس الفاضلة التي أنكرت ذاتها بهجران شهوات العالم السفلي مقبلة بكليتها على العالم العلوي الذي يكشف عنها ظلمتها وينير طريقها إلى المحبة، والمعرفة الإلهية، بحسب اختلاف النفوس والعلوم والمعارف، والأذواق ومنازل العارفين، إنها اللغة الرمزية التراتبية التي تكشف عن المقاصد الإيمانية والإحسانية الأخلاقية الإنسانية للمتصوفة كل حسب طريقته ودرجة إخلاصه وهمته في قربه إلى الله[3].

ج- الإسفار:

ورد اللفظ في عنوان مصنف "الإسفار عن نتائج الأسفار" لابن عربي[4]، والإسفار؛ ظاهرة كونية اتخذه الصوفية للتعبير عن حالة تجلي الضوء والنور للارتقاء في المقامات وتبدل الأحوال مثل تبدل حالة الكون من الظلمة إلى الضوء والنور، والإشراق أو السفر من مكان إلى مكان حسبما أبانت عليه معاني اللفظ المعجمية، فالسّفر من السَّفرُ يعني قطع المسافة[5]، والجمع الأسفارُ والسَفرُ بياض النهار، نحو قولهم أسفر الصبح أي أضاء[6]، وفي الحديث قولهم: "أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر"

---

[1] ابن الأقليشي: **أنوار الآثار**، ص211.

[2] ابن سبعين: المصدر السابق، ص5 ومابعدها.

[3] ابن الدباغ: المصدر السابق، ص4، 5، 10.

[4] ضمن درر رسائل ابن عربي، ط1، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1440هـ/2019م.

[5] الجوهري: المصدر السابق، ص542.

[6] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص777.

بمعنى أطالوا به إلى وقت الإسفار[1]، وللفظ معاني كثيرة منها: الحسن، الإسفار إي الانحسارُ.

هذا وقد ورد ذكر الإسفار في الكثير من الآيات القرآنية وما يخص موضوعنا على نحو قوله تعالى: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾[2] لكشفه الظّلّمة، وقيل لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال[3]، من خلال هذه المعاني، جسد ابن عربي مذهبه في التجلي مستخدما أثر الظواهر السماوية وتجلياتها كما هو أثر المعرفة الإلهية والشوق الإلهي على النفس الإنسانية، كما عرض لنا صورة أسفار الأنبياء والرسل وما تكشفت لهم من حجب وتجلى لهم من أسرار، في ثلاثة أسفار: سفر من عند الله، وسفر إليه وسفر فيه، حتى نشأة الإنسان هي رحلة سفر في حد ذاتها، كما اعتبر الوجود بشقيه العلوي والسفلي والحقائق الإلهية في رحلة سفر دائمة.

فالكون في حركة مستمرة والإنسان لا يعرف السكون لأن هذا الأخير يخل بنظام الكون، هذا ما جعل ابن عربي يصور الخلق في حالة سفرٍ وأسفار فجعل المسافرين في الله تعالى بأفكارهم، ثلاثة أصناف: الفلاسفة، والأنبياء والرسولﷺ، والمصطفون من الأولياء، كالمحققين من رجال التصوف[4]، وفي مصنفه الثاني أورد لفظ الإسفار[5]، بمعنى ما أسفرت عليه وكشفت عنه رسالة الأنوار، ممن لزم الخلوة من تجلي نور الله في قلوب عباده وأصفيائه، ونور نبيه نظير المجاهدة والرياضة والانقطاع والغربة في الله، فيقذف الله نوره في قلوبهم هو نور السموات والأرض، مثبتا قوله: إن التجلي

---

[1] الجوهري: المصدر السابق، ص542.

[2] سورة المدثر، الآية: 34.

[3] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج2، ص201.

[4] ابن عربي: **الإسفار عن نتائج الأسفار**، ص198-209.

[5] ابن عربي: **الإسفار عن رسالة الأنوار**، مصدر سبق ذكره.

والرؤية، ممكنا عقلا وشرعا وكشفا داحضاً أفكار من أنكروا ذلك من الفلاسفة والفقهاء في الغرب الإسلامي طريقته التعبدية[1].

د- السراج:

ورد هذا النعت في عنوان كتاب "سراج المريدين في سبيل الدين لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والُدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية"، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الأشبيلي (ت 543هـ/ 1149م)[2]، والسراج نجم مضيء ثاقب، براق[3]، والشمس سراج[4]، والسُّرجُّوجُّةِ: الطبيعة والطريقة، وقيل إذا استوت أخلاق الناس قيل هم على سُّرْجُّوَّجةٍ واحدة[5]، والسراج وصف خص به الرسول ﷺ: ﴿وَجَعَلَ القمر فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً﴾[6]، لأن الدنيا أضاءت به وبشريعته بعد أن كانت مظلمة بالكفر، والسراج المصباح الزاهر بفتيلهٍ ودهنٍ، وأسرجت السراج: أوقدته، وسرجت الشيء: جعلته في الحسن كالسراج[7]، ولفظ السراج يوصف به من كان علمه واسع مثل أبو العباس أحمد بن سُريج عَالِمُ العراق[8].

ومن المعروف أنّ بلاد المغرب الإسلامي صارت سوق العلوم فيها رائجة "علم التوحيد، الأحكام والأحوال"، والمنفعة في طلبها عاجلة، فكان أهم ما يقبل على تقييده، وأعرض الناس عنه علم التذكير، المتعلق بالأعمال والمقامات، والأحوال والصفات

---

[1] المصدر نفسه، ص 22.

[2] تحقيق: عبد الله التوراتي، دار الحديث الكتانية، طنجة، 1437هـ/2017م.

[3] الصاحب: المصدر السابق، ج7، ص11.

[4] الجوهري: المصدر السابق، ص531.

[5] نفسه، ص531.

[6] سورة نوح، الآية: 16.

[7] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج2، ص187.

[8] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص761.

التي خص الله بها عباداً أصطنعهم لخدمته، فكانوا سراجا منيرا ذلكما حمل ابن العربي الإشبيلي، على تأليف مصنف في هذا السياق موجه إلى فئة السالكين والمريدين ليبلغوا طريق الدين، تذكيرا بأحوالهم، اقتداء واهتداء بمناقبهم وسلوكهم وأعمالهم[1].

ثانيا- دلالات أرضية سفلية:

جنح علماء السلوك الذوقي بخيالهم الفكري إلى الواقع المحايث ليعبروا عن واقعهم، ورؤيتهم للحياة وفق علاقة نسقية مع ما يحيط بهم من نبات حيوان إنسان من أجل إيجاد منظومة أخلاقية معرفية قانونية تحكم علاقتهم مع الطبيعة، ومع الآخرين.

1- عوالم ما فوق أرضية:

يورد هذا المطلب الألفاظ ذات دلالات أرضية على اعتبار، أن الطبيعة المحايثة، في الفكر الصوفي محاكاة للجمال الإلهي والخير، والحق، والكمال في محاولة لرسم صورة تنطبق مع واقعه الإنساني.

أ- الروض:

ورد اللفظ في عنوان مصنف "روضة التعريف بالحب الشريف"، لأبي عبد الله محمد بن عبد السلماني الغرناطي (ت 776هـ/1375م)[2]، والروض لفظ يقصد به في المعجم اللغوي: البقل والعشب[3]، ومستنقع الماء[4]، الأرض ذو الخضرة والأزهار وتطلق الروضة على الماء نفسه[5]، ومنه قولهم شربوا حتى أرضوا[6]، والرياضة: كثرة استعمال

---

[1] ابن العربي: المصدر السابق، ج1، ص11، 12.

[2] تحقيق محمد الكتاني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1389هـ/1970م؛ وابن عيشون: **الروض**، مصدر سبق ذكره.

[3] الجوهري: المصدر السابق، ص477.

[4] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص682.

[5] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج2، ص126.

[6] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص682.

النفس والبدن[1]، وقوله ﷺ: "بين قبري أو بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[3].

وبالنظر لهذه المعاني التي حملها الروض، والروضة جسد ابن الخطيب، تجربته الصوفية بكل تفاصيلها التعبدية والسلوكية والمعرفية في روضة، على وجه الاستعارة، والتشبيه حيث جعل الأرض مكمن القلب والنفس والروح، التي تغرس فيها المحبة والشجرة رمزا للمحبة الإلهية، في منحى صوفي غايته البقاء الموصل إلى ذروة السعادة، وارتقاء مدارج حب إلهي المبلغ إلى القربة منه، وبلوغ قمة الكمال الإنساني[4].

وكما هو معروف في هذه الفترة أنَّ بلاد الغرب الإسلامي –الأندلس– قد عجت بالفتن وراجت فيها أقلام الكتابة عن الحب والعشق، والزهد والتصوف، وترامت تلك الأخبار إلى مسامع أحد ملوك بني نصر الذي طلب تصنيف مؤلف يكون بإزاء ديوان ابن حجلة التلمساني، في الحب البشري، فكان عقل وقلم لسان الدين مفصحا عن مسلكه الصوفي وعن واقع ثقافي محايث ثابت بالغرب الإسلامي[5].

أما ابن عيشون (ت 1109هـ/1697م)، فقد اعتبر مدينة فاس روضة، لما عاينه من كثير المقابر، وروض الصلحاء والأولياء، هذه المدينة التي استراضت الأرض بهم وبكراماتهم فعظم شأنهم بين الناس، ومن وقف على قبورهم نالته البركة والرحمة[6].

---

[1] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج2، ص126.

[2] ابن منظور: المصدر السابق، ص1775.

[3] سورة الروم، الآية: 18.

[4] ابن الخطيب: المصدر السابق، ص40.

[5] نفسه، ص39.

[6] ابن عيشون: المصدر السابق، ص47.

فأصبح الناس يسترضونهم ويطلبون بركتهم ودعاءهم، وكرامتهم، وحل مشاكلهم الاجتماعية والوقوف في وجه السلطان، إن تطلب الأمر ذلك، فتحولت تلك الروض إلى مشهد أسطوري رمزي من خلال تحول القبر إلى نبع من الماء، واسترسال الأنوار، منه[1]، تلك هي الصورة الرمزية الصوفية، من الروض والروضة التي تعكس واقعا مادياً اجتماعيا وثقافيا معين ببلاد المغرب. كما يعكس لنا الممارسات الصوفية في المجتمع، وارتباطها بحياة الناس اليومية.

ب- البستان:

من النعوت التي تعبر عن الجمال، والخير ورد ذكره في عنوان مصنف "البستان" لابن مريم (ت 1025هـ/1616م)[2]، ولفظ البستان قيل أنَّها كلمة مُعَرَّبةٌ[3]، وتعني الحديقة، وبست مدينة بخراسان[4]، وقد أطلق اللفظ على عدة أماكن، منها بستان بن عامر قرب مكة، ومجتمع النخلتين اليمانية والشامية، وبستان المُسناة: بدار الخلافة ببغداد[5].

---

[1] وما تجدر الإشارة إليه هنا، تلك الحادثة التي أوردها ابن عيشون حينما حاصر جوهرا مدينة فاس واستعصت، فقيل له لو مكثت هنا أعواما لن يتأتى لك ذلك لأن الأرض بها أربعة أوتاد منهم دراس بن إسماعيل. يراجع ابن عيشون: المصدر السابق، ص52.

[2] أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب المليتي المديوني التلمساني المعروف بابن مريم (ت 1025هـ/1616م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/ 1908م. وللإشارة هنا أنّ ابن مريم قد جرى في تصنيفه لهذا الكتاب على منوال عماد الدين الأصفهاني (ت 597هـ/1225م): الذي جمع أخبار العلماء والأدباء وأصحاب البدع والملوك تلبية لطلب أحدهم، ليستريح إليه في خلوته وينشرح صدره بمطالعته. يراجع **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**، تحقيق: محمد على الطعاني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية لنشر والتوزيع، الأردن، [1423هـ/2003م].

[3] الصاحب: المصدر السابق، ج8، ص385.

[4] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج8، ص471؛ وابن منظور: المصدر السابق، ص279.

[5] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص128.

وبالنظر لمعاني هذا اللفظ جمع ابن مريم تراجم علماء مدينة تلمسان منتخبة من مؤلفات وفرائد علم الرجال جاعلاً إياها في كتاب كان أشبه بالبستان، خاص بعلماء مدينة تلمسان، حيث سجل فيه مناقبهم وسيرهم ومجاهداتهم، وعلومهم على اختلافها، قاصدا التقرب والولاية والتبرك والاقتداء بسلوكهم ونسكهم وزهدهم على حد قوله:

"المرء مع من أحب فكيف لمن زاد على مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وخدمتهم ظاهرا وباطنا بتسطير أحوالهم ونشر محاسنهم في أقوالهم وأفعالهم، ذلك أنفع للنفس من الوعظ والتذكير بالقول"، مقتديا بأهل المشرق في حفظ سير شيوخهم وعلمائهم[1]، ومعيبا على أهل المغرب الإساءة إلى أوليائهم وعلمائهم.

ج- الجَنَّة:

والجنة الحديقة والبستان، والجنات كثيرة النخل والشجر[2]، وقيل هي في الأصل البستان ذو الشجر الساتر بأشجاره الأرض، وقد يطلق على الأشجار نفسها جنة، وسمى الجن بالجن لاستتارهم عن العيون[3]، والجنات هي جمع لمراتب ومقام الجنة، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[4]، وسميت جنة الآخرة جنة، إما تشبيها بجنة الأرض، أو لسترها عنا[5].

ومن تلك المعاني المعجمية المجتمعة في لفظ الجنة جاء تأليف ابن عاصم لمصنفه "جنة الرضا"، وعلى سبيل التشبيه استحضر في فكرٍ خيالي رمزي صورة الجنة والنار، وجعل الأندلس في فترة بني نصر وما حاق بها من الفتن، والمحن والابتلاءات كالجنة والنار، والإنسان بين هاتين المفارقتين، واعظاً ومذكراً بوجوب

---

[1] ابن مريم: المصدر السابق، ص6.

[2] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج7، ص218.

[3] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج1، ص348.

[4] سورة الكهف، الآية: 102.

[5] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج2، ص349.

الطاعة والصبر والتحمل والقيام بأمر الجهاد وتجنب الغفلة، كنوع من العبادة لبلوغ سدرة المنتهى، ذلك ما أراد جمعه في مصنفه حتى يكون روضاً يجتنى منه ثمر ويقطف منه زهر[1]، إنها الأندلس جنّة الأرض في حلتها المفارقة تلك هي الرمزية الصوفية التي شخصت أحوال المجتمع الأندلسي بين واقع غيبي مراد بلوغه وواقع معاش قائم بذاته يحسن قبوله أو المجاهدة لتغييره.

د- الشجرة:

ورد الفظ في مصنف "شجرة الكون" لابن عربي (ت 638هـ/1241م)[2]، والشجرة رمز كل نبات قام على ساق، أرض كثيرة الشجر[3]، وشاجر المال أي رعاه، وتدل على المنازعة والمشاجرة[4]، ويفيد لفظ الشّجِير، السيف، التقدم، والنَجَاء[5]، واستشجروا، أي تحالفوا، وفي طرف النقيض تشاجرا أي تنازعا[6]، وسميت الشجرة شجرة لاختلاف أغصانها وتشعب أفنانها ومنه المشاجرة المخاصمة[7].

فالشجرة: في فلسفة ابن عربي الصوفية الذي طفق بخياله الفكري الصوفي الجامح نحو الطبيعة، لجأ إلى استحضار الكون في صورة الشجرة التي هي رمز النشأة والمحبة، والعطاء النماء، والتكاثر والتوالد النقص الكره المنع فهي الكون كله، وأصل نورها من حبة كن فيكون، فأوجد الموجودات وجميع الكائنات، تحت هذا الكون في كل متكامل.

---

[1] ابن عاصم: المصدر السابق: ص100، 101.

[2] تحقيق: رياض العبد الله، ط2، دار القلم، بيروت، 1420هـ/1985م، ص41.

[3] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج7، ص239.

[4] الفيروز بآدي: **القاموس المحيط**، ص839.

[5] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج7، ص239.

[6] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص839.

[7] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج2، ص253.

والشجرة رمز المعرفة معرفة الإنسان لذاته عند خطيئتة الأولى كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَاۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، كما عمد في هذا التصور الرمزي إلى اعتبار الرسولﷺ رمز الإنسان الكامل الذي استنار بنور الله وشهد الحقيقة الإلهية[2]، وبذلك سحب لنا ابن عربي منهجه الصوفي العرفاني في صورة الشجرة معبرا عن فكرة "الوجود الله الإنسان".

هـ- الأزهار:

ورد اللفظ في عنوان كتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، لأبي العباس أحمد بن محمد القرشي المقري التلمساني (ت 1041هـ/1631م)[3]، وفي عنوان مصنف "أزهار البستان في طبقات الأعيان"، لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني التطواني (ت 1224هـ/1810م)[4]، والأزهار هي نور كل نبات[5]، وزهرة الدنيا حُسنها، وزهرة الأرض، وأزهرت الأرض، وأزهرت النار أضاءت، والزُهرةُ، اسم كوكب، الازدهار الحفظ،[6]، والأزهران؛ الشمس والقمر، ورجل أزهر أي أبيضُ مُشرِقُ الوجهِ، وأزهر النّبت أي ظَهرَ زَهْرُهُ[7]، يفيد أيضا البياض والحسن، وفي حديث على عليه السلام، في صفة النبيﷺ "كان أزهر ليس بالأبيض الأمْهقِ"، ويقصد به تلألأ؛ نحو: قولهم[8]:

---

[1] سورة البقرة، الآية: 34.

[2] ابن عربي: **شجرة الكون**، ص41.

[3] تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م، 5ج.

[4] تحقيق: عبد السلام العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1442هـ/2020م.

[5] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج4، ص230.

[6] الصاحب: المصدر السابق، ج3، ص424.

[7] الجوهري: المصدر السابق، ص502.

[8] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج4، ص230.

آل الزبير نجوم يُستضاءُ بهم إذا دجا الليلُ من ظَلمائِه زَهَرا

فلفظ الزهور: يحمل معانٍ تفصح عن قمة الجمال الإلهي في الطبيعة، تحيلك على مراحل البذر والزرع والماء وتلون الطبيعة بالألوان المختلفة، ذلك ما سجله المقري عن القاضي عياض (ت 544هـ/1149م)، من خلال تتبع أخباره منذ نشأته إلى ظهور أزهار فهومه وعلومه، التي ما طفقت تشق طريقها إلى الأمصار، ذلك ما أشار إليه في مصنفه أزهار الرياض الذي أراده روضُ حسنة مختلفة تجمع أهم علومه ومصنفاته وشيوخه وأحوال البلاد التي حط بها وأخباره المختلفة.

وما ناله من شرف الإمامة في الدين والدنيا، فكان ذلك مقصد التلمساني من مؤلفه حتى يحسن تقريب فهمه على من رام الانتفاع به، وهي صورة أيضاً تجسد الواقع الفكري والديني العلمي المتنوع، في الغرب الإسلامي في حلة طبيعية رمزية[1]. نحو قول التلمساني في مدح عياض[2]:

سلام مثلُ عَرْف المِسك طَيبًا وحُسْنا مثل أزهار الرياض

على لَفْظَ الجَلالة والمَعالى إمام الدَّين والدنيا عِياض

إذا مَا قِيس بالعُلَماء طُرًّا غدا بَحْرًا وأَضْحَوا كالحِياض

2- عناصر ما تحت أرضية:

يورد الألفاظ ذات دلالات أرضية باطنية عميقة ونفيسة، عمد إليها المتصوفة للإفصاح عن فكرهم القائم على التأويل والتفسير بظاهر الشرع والباطن من أجل الوصول إلى حقيقة الإنسان والوجود.

[1] المقري: المصدر السابق، ص 16، 17.

[2] نفسه، ص18.

أ- الفصوص:

ورد ذكره عند ابن عربي (ت 638هـ/1241م)، في كتابه "فُصُوُصُ الحِكَمْ"[1]، والفص من فَصُّ الأَمْرِ: أصْلُهُ[2]، وفص الشيء حقيقته وكُنْهَهُ، والكُنْه جوهر الشيء[3]، ويحيل على الفصل وافتصصته انتزعته[4]، فَصُّ الخَاتَمِ وفِصُّه المُرَكَّبُ فيه[5]، وفَصَّ الجرح، سال منه شيء[6]، الفِصْفِصُ، والفِصْفِصَةَ الرَّطْبَةُ: كما في قول الأعشى[7]:

ألم تَرَ أنَّ الأرض أصْبَحَ بَطْنُها نَخِيلاً وزَرْعاً ونَباتاً وفَصَافِصَا

من خلال ما أحالنا عليه لفظ الفصوص من معاني يجعلنا نقول أنَّ الإنسان في بحث دائم عن حقيقته والمقصد أو الحكمة من وجوده وعلاقته بالوجود وموجد الوجود، ذلك ما رامه ابن عربي من مصنفه "فصوص الحكم"، في صورة رمزية إشارية عمد إلى تبيان حقيقة أصل الإنسان وخلقه الذي تفرع منه النوع الإنساني، فهو من العالم كفص الخاتم من الخاتم ثم تدرج ابن عربي في تفصيل واستخرج كُنْه حقيقة الوجود من خلال القول، إنَّ الحقيقة واحدة، والحياة حقيقة واحدة والإنسان محدث، والحق قديم[8]، وحقيقة خلافة الرسل والأنبياء والحكمة منها، والفناء والعودة إلى الحق، ذلك ما سعى ابن عربي إلى تبليغه امتثالا لما أمره به الرسول في منامه، تلك هي الصور الرمزية التي طرح بها ابن عربي مذهبه الصوفي في بلاد الغرب الإسلامي الذي عرف واقعا متشابكا من خلال تنوع مذاهبه الفقهية والصوفية.

---

[1] تحقيق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي ، بيروت، د.ت.

[2] الصاحب: المصدر السابق، ج8، ص94.

[3] ابن منظور: المصدر السابق، ص3421.

[4] الجوهري: المصدر السابق، ص890.

[5] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج8، ص273.

[6] الجوهري: المصدر السابق، ص890.

[7] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج8، ص274.

[8] ابن عربي: **فُصُوُصُ الحِكَمْ**، ص50، 51، 52.

ب- الكنوز:

لفظ يحيلك على كل شيء ثميني خفي سرا وحقيقة باطنية في المخيال الصوفي، أما في المعجم اللغوي فيدل على المال الذي يحترز ويجمع، ويطلق على التمر الذي يكتنز[1]، والمال المدفون[2]، وكل شيء غمرته في وعاء أو أرض فقد كنزته[3]، كما يطلق على كل مال لم تخرج زكاته[4]، ومما ذكر في لفظ الكنز في القرآن الكريم قوله: ﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ الذهب وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِے سَبِيلِ اِللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾[5]، وقوله أيضاً: ﴿وَكَانَ تحته كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَّبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[6].

ربما ذلك ما حمل ابن الحاج المغربي على تأليف مصنفه "شموس الأنوار وكنوز الأسرار"[7]، لكشف السر المخبوء في أسماء الله الحسنى، وعلم الحرف وخواص أوائل سور الآيات القرآنية، لأن الذكر ومعرفة أسمائه واكتشاف سر وخواص أوائل السور أوقفه الله إلى تحقق المعرفة به فهي عبادة ومجاهدة ورياضة وطريق يكشف بها الأسرار والحجب في هذا الكون، ويأتي مصنفه أيضاً استجابة لسؤال أحد المحبين له، مصرحا أنَّهُ لولا مخافة الله لكتمت سر هذا العلم، حتى لا يعمل به فيما لا ينفع الناس "السحر والشعوذة".

---

[1] الصاحب: المصدر السابق، ج6، ص201.

[2] الجوهري: المصدر السابق، ص1012.

[3] الفيروز بآدي: **القاموس المحيط**، ص1438.

[4] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج3، ص433.

[5] سورة التوبة، الآية: 34.

[6] سورة الكهف، الآية: 81.

[7] ابن الحاج التلمساني: المصدر السابق، ص4.

ج- الذخائر:

ذَخَر الشيَّء، اختاره وإتَخذْهُ[1]، الأذخرة: ويعني الذخيرة، كما يقال[2]:

لعمرك ما مال الفتى بخيرة ولكن إخوان الصفاء الذخائر

والإذخِرُ: حشيشة طيبية الريح[3]، يسقف بها البيوت فوق الخشب[4]، أيضا تطلق على القول الطيب كقولهم، وذخر لنفسه حديثا حسنا أبقاه[5]، من خلال هذه المعاني فالذخائر، كل زاد ادخره الإنسان إلى دار المآل، وهي كل نفيس وثمين من أقوال ومآثر وسير وآداب تعين العبد على الطاعة وتزكية نفسه، وتربيتها على الأخلاق ومكارمها، ذلك ما ألمح إليه الباهلي (ت 544هـ/1150م)، في مصنفه الذي جمع فيه من الحكم والمأثور والمنقول والمعقول، ومن فضائل الرسول ومآثرهما تكون دليلا للخير[6].

د- الأعلاق:

العَلَقُ الدم شديد أو الغليظ[7]، تحيل على تشبث بالشيء نحو عَلِق الصيد في الحُبالة[8]، والعِلْقُ: المالُ الكريمُ، العَلُوقُ: الوَلَدُ في البطن، والعِلْقَةُ أول ثوب يتخذ للصبي[9]، ويحيل على نوع من الشجر[10]، معاليق ضرب من النخل[11]، والعِلْقُ: الشيءُ

---

[1] ابن منظور: المصدر السابق، ص1491.

[2] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج5، ص158.

[3] الصاحب: المصدر السابق، ج4، ص318.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، ص1490.

[5] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج4، ص158.

[6] أبو الحسن سلام بن عبد الله الباهلي الإشبيلي (ت 544هـ/1150م): **الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق**، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ط1، دار الصادر، بيروت، 1432هـ/2011م.

[7] الصاحب: المصدر السابق، ج1، ص178.

[8] السمين الحلبي: المصدر السابق، ج3، ص110.

[9] الصاحب: المصدر السابق، ج1، ص177.

[10] نفسه.

[11] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج1، ص217.

النفيسُ الذي به يتعلَّق صاحبهُ[1]، والعَلَقُ: الهوى نحو قولهم "نَظْرَة من ذي عَلَق"، أي من ذي حب قد علق بمن يهوى[2]، ومما ورد للفظ من ذكر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰماً﴾[3]، فالأعلاق في بعدها الرمزي الإشاري الصوفي تشمل كل معاني المعرفة الروحية والأسرار الإلهية والمواجد النفسية الصوفية العميقة التي جسدها ابن عربي في أبيات شعرية غزلية أثناء اعتماره بمكة المكرمة، مما أثار عليه لعنة الفقهاء ونعته بالكفر، والخروج عن الدين، مما هم به الحال إلى تصنيف يشرح فيه ترجمان الأشواق سماه "ذخائر الأعلاق"[4]، أفصح فيه عن مقصده التعبدي الصوفي.

[1] الجوهري: المصدر السابق، ص805.

[2] ابن سِيدّه: المصدر السابق، ج1، ص219.

[3] سورة المؤمنون، الآية: 14.

[4] ابن عربي: **ذخائر الأعلاق –شرح ترجمان الأشواق–**، تحقيق: سحبان أحمد مروّة، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1427هـ/2006م.

الخاتمة

بعد إسفارنا وسفرنا بين عالم واقعي محايث وآخر غيبي مفارق، في محاولة لكشف ما حمله العقل الفكري الصوفي المنقبي، من إشارات وعلامات ودلالات منبثة في ثنايا عناوين ومقدمات مصنفات شيوخه وأعلامه، يمكننا رصد المرموزات الصوفية الثاوية خلف العتبات، وقيمها الأخلاقية والإنسانية، في جملة النتائج والمخرجات، في طابعها التاريخي الفلسفي الفكري:

ومن خلال مطالعتنا لما هو مخبوء في عتبتي العنوان والمقدمة في المدونة الصوفية المنقبية، أمكننا الغوص في بعض زوايا عمق الفكر الصوفي المنقبي بالغرب الإسلامي، والوقوف على طابعه السلوكي التصوري العملي، العابر في سياقاته كل الأمكنة (العالم العلوي والسفلى)، والأزمنة (الزمن الراهن والزمن المنتظر)، والمعبر عن المواجد النفسية الروحية والجسدية والعقلية للتجربة الصوفية بالغرب الإسلامي في رمزية إشارية، كل حسب مشربه وسر مطلبه.

ومن ذلك؛ الوقوف على تمثلات مركزية الإنسان، والأنسنة في المخيال الصوفي بالغرب الإسلامي، من خلال الألفاظ الإنسية التي تجسد الفعل التعبدي ومقاصده الدنيوية والأخروية، القائمة على فكرة إنكار الذات الواقعية، وحملها على ترك الشهوات والملذات، تحقيقا لذات إنسية متعالية في عالم غيبي آخر مفارق، عقيدة راسخة في المتخيل الصوفي، والمتجذرة في النص القرآني.

وكذلك المنزع الإنساني الأخلاقي (الأنسنة المعاصرة والحديثة)، معيار فردي جمعي لصلاح المجتمع وصلاح المعاش والمعاد والمصير والمآل، وتلبس الفكر الإنسي بطابع التربية النفسية والدينية والاجتماعية وتبوإ الصوفية دور الوسيط، والمصلح لأوضاع المجتمع المغربي في سرجوجة نفسية اجتماعية دينية ذوقية متنوعة،

من حيث المنهج والتصور والممارسة، في معادلة تكاملية تجمع ما بين الجسد العقل والنفس والذوق، تقف على طرفي النقيض في عالم الأضداد كالحزن على المعاصي من أجل الفوز بسعادة في الآخرة، والفناء في حب الله، للحياة في دار البقاء، والخوف والخشية في مقابل الطمأنينة.

وليس من المستغرب أن يتكئ المتصوفة في صياغة مسالكهم الإنسية التعبدية على الكتاب والسنة، والعود إلى المأثور والمنقول عن السلف الصالح، وكذا الاستناد إلى التفسير الإشاري المتعانق مع النص القرآني، في ظل بيئة مشحونة بأفكار وتوجهات وفلسفات وديانات مختلفة، إما لإضفاء الشرعية الدينية على مشاريعهم السلوكية الفكرية أو محاولة إرساء منظومة قيم أخلاقية ومعرفية في طابعها الوعظي التذكيري لصناعة الإنسان الكامل، وكذا النهل من معين الواقع الثقافي المغربي في مطارحة أفكارهم ومواجدهم وحبهم الإلهي في قالب شعري رمزي.

ومما تم رصده وتسجيله توظيف الدلالات الإنسية والكونية في التمجيد، والإشادة والتذكير، والوعظ في محاولة لتغيير واقع اجتماعي سياسي أخلاقي فكري قائم غير مستأنس ومألوف إلى واقع مأمول.

ارتحالا لألفاظ ذات الدلالات الإنسية الكونية، وانزياحها من المصنفات المنقبية الصوفية إلى عناوين المصنفات التاريخية؛ كالتأنس والاستئناس بالطبيعة، والانطلاق نحو مجال أوسع للتعبير عن التجربة الروحية، والغوص في مكامن الوجود، والكشف عن أسراره الربانية، من منطلق التدبر في جمالية هذا الكون ودقته المتناهية في حركته ونظامه، وسحب رموزه وتجلياته على الواقع المادي الثقافي الإنساني، في صورة رمزية تماثلية تعبر عما تختزنه مكنوناتهم العرفانية والذوقية، في محاولة إيجاد نسق متناغم ومنسجم مع طبيعته البشرية، لكشف وتفسير المقولة ثلاثية (الوجود الله الإنسان)، مما يحيلنا على ذلك الارتباط الأزلي للإنسان بالطبيعة والكون، فالكل يسبح بحمد ربه.

وتوشية لما سبق قوله وليس غلقا لباب، فلا أدعي أنني أجبت عن كل مغاليق فهمه، واستحكمت مفاتيح تفسيره وتدبره، فما وفقت إليه من استنتاجات ومخرجات تظل رهينة النقد والتصويب. واستشرافا لمن يتشوف إلى الأبحاث الجديدة، نقترح من العناوين، ما نخاله جديرا بذلك:

-الدلالات الإنسية والكونية في المصنفات الفقهية.

-الدلالات الإنسية والكونية في المصنفات الصوفية المنقبية بالمشرق الإسلامي (على سبيل الإحصاء والمقارنة) في الفترة الوسيطة والحديثة والمعاصرة.

-دلالات الهيئة والأشياء والصفات في المدونات التراثية الوسيطية.

-دلالات الحرف والعدد في المدونات الصوفية الوسيطية.

-خطاب الأنسنة والكونية في النص المنقبي الصوفي في الغرب.. مقاربة في النسق الحديث والمعاصر.

وختاما لما سبق بحثه، نعترف بحقيقة قامت، ولا تزال قائمة، وستظل كذلك، أن الكمال لله، وندعو الله ألا نكون ممن كان يعيش وهم البحث، ليستفيق على حقيقة الوهم.

الورّاقيـة

- **القرآن الكريم** (رواية ورش عن نافع)

أولا- المحررات باللغة العربية:

I- المصادر:

1. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر البصري (ت 370هـ/981م): **الموازنة**، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، [1412هـ/1992م].

2. الأصفهاني، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد (ت 597هـ/1225م): **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**، تحقيق: محمد على الطعاني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، الأردن، 1423هـ/2003م.

3. ابن الأقليشي، أبو العباس أحمد بن معد التجيبي (ت 551هـ/1157م): **أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار**، تحقيق: محمد بن عزوز، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 1424هـ/2003م.

4. ابن الأقليشي، أبو العباس أحمد بن معد التجيبي (ت 551هـ/1157م): **شرح الباقيات الصالحات المسمى إيضاح المعاني الزاهرات والإفصاح بحقائق العبادات في شرح الكلمات الباقيات الصالحات**، تحقيق: محمد بن عزوز، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 1424هـ/2003م.

5. الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي (ت 474هـ/1082م): **سنن الصالحين وسنن العابدين**، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ/2003م.

6. البادسي، عبد الحق بن إسماعيل الخزرجي (حي 722هـ/1322م): **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق: سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م.

7. الباهلي، أبو الحسن سلام بن عبد الله الإشبيلي (ت 544هـ/1150م): **الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق**، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ط1، دار الصادر، بيروت، 1432هـ/2011م.

8. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري القرطبي (ت 578هـ/1183م): **القُربةُ إلى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين**، تحقيق: السيد محمد سيد، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1420هـ/1999م.

9. ابن بشكوال، أبو القاسم بن خلف بن عبد الملك القرطبي (ت 578هـ/1183م): **كتاب المستغيثين باللّه تعالى عند المهمات والحاجات**، تحقيق: مانويلا مارتن، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1338هـ/1993م.

10. البوني، أبو العباس أحمد بن علي (ت 622هـ/1225م): **شمس المعارف الكبرى**، ط2، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، 1472هـ/2006م.

11. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (ت 728هـ/1328م): **العبودية**، تحقيق: على حسين عبد الحميد، دار الأصالة، مصر، 1420هـ/1999م.

12. الجرجاني، علي بن محمد الشريف الحسني (ت 816هـ/1413م): **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1406هـ/1985م.

13. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 398هـ/1008م): **الصحاح**، مراجعة: محمد محمد ثامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م.

14. ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري التلمساني (ت 737هـ/1337م): **شموس الأنوار وكنوز الأسرار**، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج1.

15. ابن الخراط، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي (ت581هـ/1186م): **التهجد وما ورد في ذلك من كتب الصحاح وعن العلماء والزهاد رضي الله عنهم**، تحقيق: مسْعد عبد الحميد السعدني وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.

16. ابن الخراط، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي (ت581هـ/1186م): **العاقبة**، تحقيق: عبيد الله أبو عبد الرحمن المصري الأثري، ط1، دار الصحابة للتراث، 1410هـ/1990م.

17. ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي (ت 776هـ/1375م): **روضة التعريف بالحب الشريف**، تحقيق: محمد الكتاني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1389هـ/1970م.

18. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1406هـ): **مقدمة ابن خلدون، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، 1421هـ/2001م.

19. ابن الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت 696هـ/1297م): **مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب**، تحقيق هـ. ريتر، دار صادر، بيروت، د.ت.

20. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد الأموي البغدادي (ت 281هـ/895م): **كتاب الورع**، تحقيق: أبو عبد الله محمد بن أحمد الحمود، ط1، الدار السلفية للنشر، الكويت، 1407هـ/1988.

21. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر المصري (ت 794هـ/1392م): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1427هـ/2006م.

22. ابن سبعين، أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم المرسي (ت 669هـ/1297م): **أنوار النبي ﷺ وأسرارها وأنواعها**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1428هـ/2007م.

23. السمين الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف (ت 756هـ/1356م): **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م.

24. ابن سيدبونة، أبو أحمد جعفر بن عبد الله الخزاعي الأندلسي (ت 624هـ/ 1227م): **الشهاب موعظة لأولي الألباب**، تحقيق: عبد الإله بنعرفة، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 1426هـ/2005م.

25. ابن سِيدَه، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت 458هـ/1066م): **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/2000م.

26. الصاحب، أبو القاسم إسماعيل بن عباد الطالقاني (ت 385هـ/995م): **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ/ 1994م.

27. ابن عاصم، أبو يحي محمد بن عاصم الغرناطي (ت 857هـ/1454م): **جَنَّةُ الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**، تحقيق: صلاح جرار، دار البشير، عمان، 1410هـ/1989م.

28. عبد الملك بن حبيب، أبو مروان السلمي الأندلسي (ت 238هـ/853م): **كتاب الورع**، تحقيق: أحمد بلهي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 1414هـ/ 2020م.

29. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد الحسني التطواني (ت 1224هـ/ 1810م): أزهار **البستان في طبقات الأعيان**، تحقيق: عبد السلام العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1442هـ/2020م.

30. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت 543هـ/ 1149م): **سراج المريدين في سبيل الدين لاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدُنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية**، تحقيق: عبد الله التوراتي، ط1، دار الحديث الكتانية، طنجة، 1437هـ/2017م.

31. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذْكر من الأنوار**، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1432هـ/2011م.

32. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **الإسفار عن نتائج الأسفار**؛ ضمن درر رسائل ابن عربي، ط1، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1440هـ/2019م، ص198-209.

33. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية**، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.

34. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **تنزل الأملاك في حركات الأفلاك**، تحقيق: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، د.ت.

35. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق**، تحقيق: سحبان أحمد مروّة، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1427هـ/2006م.

36. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **شجرة الكون**، تحقيق: رياض العبد الله، ط2، دار القلم، بيروت، 1420هـ/1985م.

37. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **فصوص الحكم**، تحقيق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب، بيروت، د.ت.

38. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **الفناء في المشاهدة**؛ ضمن رسائل ابن عربي، نشرها: محمد عبد الكريم النمري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001م، ص17-23.

39. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري**؛ ضمن رسائل ابن عربي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ط1، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1422هـ/2002م، مج3.

40. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم**، ط1، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م.

41. ابن عربي، محي الدين محمد بن علي الطائي المرسي (ت 638هـ/1241م): **اليقين**؛ ضمن رسائل ابن عربي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1424هـ/2004م، مج4، ص25-76.

42. ابن العريف، أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي (ت 536هـ/1088م): **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**، تحقيق: عصمت عبد اللطيف دندش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1413هـ/1993م.

43. العزفي، أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي السبتي (ت 633هـ/1236م): **دعامة اليقين في زعامة المتقين**، تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، المغرب، [1409هـ/1989م].

44. ابن عيشون، أبو عبد الله محمد بن محمد الشراط الفاسي (ت 1109هـ/ 1697م): **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق: زهراء النظام، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1417هـ/1997م.

45. الغافقي، أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الملاحي (ت 619هـ/1223م): **لمحات الأنوار ونفحات الأزهار ورِي الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن**، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، ط1، دار البشائر الإسلامية لنشر والتوزيع، بيروت، 1481هـ/1998م.

46. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (ت 395هـ/1005م): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، 1399هـ /1979م.

47. الفكون، عبد الكريم بن محمد التميمي القسنطيني (ت 1073هـ/1662م): **منشور الهدايَة في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1987م.

48. الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (ت 817هـ/1415م): **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد على النجار، ط3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1416هـ/1996م.

49. الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (ت 817هـ/1415م): **القاموس المحيط**، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث لطباعة والنشر، القاهرة، 1429هـ/2008م.

50. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ/ 1273م): **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1425هـ/2005م.

51. الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي (ق 06هـ/12م): **إحكام صنعة الكلام**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1436هـ/1966م.

52. الكناني، أبو عبد الله محمد بن صالح عيسى القيرواني (ت 1292هـ/1875م): **تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان**، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.

53. اللجائي، أبو القاسم عبد الرحمان بن يوسف (ت 599هـ/1202م): **شمس القلوب**، تحقيق: محمد الديباجي، ط1، دار صادر، بيروت، 1423هـ/2003م.

54. ابن أبي لحية، المنتصر بن المرابط القفصي (حي 1032هـ/1622م): **نور الأرماش في مناقب القشاش**، تحقيق: لطفي عيسى وحسين بوجرة، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، 1418هـ/1998م.

55. الماجري، أبو العباس أحمد بن إبراهيم الإسكندراني (حي 700هـ/1301م): **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، تحقيق: عبد السلام السعيدي، ط1، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1434هـ/2013م، ج1.

56. ابن مرزوق، أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني (ت 781هـ/1380م): **جنى الجَنَّتَين في فضل اللَّيلَتين**، تحقيق: إبراهيم بن الشيخ راشد اليمريخي، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، الأردن، 1437هـ/2017م.

57. المروذي، أبو بكر أحمد بن محمد (ت 285هـ/899م): **كتاب الورع**، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، ط2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1431هـ/ 2010م.

58. ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد المليتي المديوني التلمساني (ت 1025هـ /1616م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/ 1908م.

59. ابن مسرة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجبلي القرطبي (ت 319هـ/932م): **خواص الحروف وحقائقها وأصولها**؛ ضمن كتاب نصوص من التراث الصوفي الغرب إسلامي، تحقيق: محمد العدلوني الإدريسي، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م.

60. ابن مسرة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجبلي القرطبي (ت 319هـ/932م): **رسالة الاعتبار** "**التبصرة**"؛ ضمن كتاب نصوص من التراث الصوفي الغرب إسلامي، تحقيق: محمد العدلوني الإدريسي، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م.

61. المقري، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت 1041هـ/1631م): **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م، 5ج.

62. المقريزي، أبو العباس أحمد بن على العبيدي (ت 845هـ/1442م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1418هـ/1998م، ج1.

63. مكي، أبو محمد بن أبي طالب القيسي (ت 438هـ/1047م): **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط1، منشورات جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 1430هـ/2008م.

64. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ/1312م): **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

65. ولد الحبيب اليعقوبي، محمد فاضل (ت 1306هـ/1889م): **الضياء المستبين في كرامات الشيخ محمد فاضل بن مامين**، منشورات جمعية الشيخ محمد فاضل بن مامين للتربية والثقافة والعلوم، نواقشوط، 1439هـ/2018م.

II- المراجع:

1- الكتب:

1. الأحمر، فيصل: **معجم السيمائيات**، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، دار الاختلاف، الجزائر، 1431هـ/2010م.

2. الإدريسي، يوسف: **عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر**، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان، 1436هـ/2015م.

3. بلعلى، آمنة: **سيمياء الأنساق -تشكلات المعنى في الخطابات التراثية-**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1435هـ/2013م.

4. بنكراد، سعيد: **السيمائيات –مفاهيمها وتطبيقاتها–**، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1433هـ/2012م.

5. الحجميري، عبد الفتاح: **عتبات النص –البنية والدلالة–**، ط1، شركة الرابطة، الدار البيضاء، 1416هـ/1996م.

6. حمدي، أيمن: **قاموس المصطلحات الصوفية –دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء–**، **دار** قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ/2000م.

7. الحفني، عبد المنعم: **معجم مصطلحات الصوفية، ط2**، دار المسيرة، بيروت، 1407هـ/1987م.

2- الدوريات:

1. بوتشيش، إبراهيم القادري: "**علاقة التاريخ بالسيميولوجيا –التاريخ العربي الإسلامي نموذجا–**"، مجلة عالم الفكر (الكويت)، ع176/أكتوبر–ديسمبر 2018م، ص165–206.

2. تاوريريت، بشير: "**السيمائية في الخطاب النقدي المعاصر**"، مجلة علامات في النقد (جدة)، مج14، ع54/ديسمبر 2004م، ص175–201.

3. رضوان، ليلى شعبان شيخ محمد: "**المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي**"، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات (الإسكندرية)، مج01، ع2017/33، ص776–822.

4. سحنين، علي: "**خطاب العتبات ومضمراته –المعنى الصوفي في رواية ما تشتهيه الروح لعبد الرشيد هميسي–**"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها (الجزائر)، مج13، ع01–02/مارس 2021م، ص1926–1942.

5. الشاذلي، المصطفى: "**مقاربة أولية لكيفية انتقال المقدمة في الخطاب النقدي القديم**"، مجلة علامات في النقد (جدة)، مج08، ع29/سبتمبر1998م، ص295-310.

6. عبد الله، محمد حسن: "**العنوان في التراث العربي -منظور تأسيسي في تأصيل ظاهرة العنونة بالأسماء في التراث العربي ودلالتها الحضارية والنفسية-**"، مجلة عالم الفكر (الكويت)، ع2019/180م، ص7-48.

3- الرسائل الجامعية:

1. بلحاج، محمد: "**مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني (ت 901هـ/1496م) -دراسة وتحقيق-**"، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م.

2. ضربان، طارق: "**العنف اللفظي في عناوين المصنفات العقدية السنية الوسيطية مشرقا ومغربا.. محاولة لتفكيك الخطاب ومقاربة النسق**"، مذكرة ماستر في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، الجزائر، 1441-1442هـ/ 2020-2021م.

ثانيا- المحررات باللغة الأعجمية:

1. إيكو، أمبرتو: **السيمائية وفلسفة اللغة**، تعريب: أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 1426هـ/2005م.

2. بلال، عبد الرزاق: **مدخل إلى عتبات النص -دراسة في مقدمات النقد العربي القديم-**، تعريب: إدريس نقوري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1420هـ/2000م.

3. بلعابد، عبد الحق: **عتبات -جيرار جينيت من النص الى المناص-**، تعريب: سعيد يقطين، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 1428هـ/2008م.

4. داسكال، مارسيلو: **الإتجاهات السيميولوجية المعاصرة**، تعريب: حميد الحمداني وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1407هـ/1987م.

5. دو سوسير، فرديناند: **محاضرات في علم اللسان العام**، تعريب: عبد القادر قنيني، ومراجعة: أحمد حبيبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ،1407هـ/1987م.

6. سيرنج، فيليب: **الرموز في الفن والأديان والحياة**، تعريب: عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للنشر، سوريا، 1413هـ/1992م.

7. شاندلِر، دانيال: **أسس السيمائية**، تعريب: طلال وهبة، ومراجعة: ميشال زكريا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1428هـ/2008م.

8. فوكو، ميشال: **حفريات المعرفة**، تعريب: سالم يفوت، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1357هـ/1987م.

9. فوكو، ميشال: **الكلمات والأشياء**، تعريب: مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1441هـ/1990م.

10. كريستيفا، جوليا: **علم النص**، تعريب: فريد الزاهي، ط2، دار طوبقال، المغرب، 1417هـ/1997م.

الكشافات

01- كشاف الآيات القرآنية

02- كشاف الأحاديث النبوية

03- كشاف الأبيات الشعرية

01- كشاف الآيات القرآنية:

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اُسْكُنَ اَنتَ وَزَوْجُكَ اُلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَاۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ اِلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ اُلظَّٰلِمِينَۖ﴾	34	البقرة	67
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِلَاهِلَّةِۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّۖ﴾	188	البقرة	54
﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا اُلَانْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَنِعْمَ أَجْرُ اُلْعَٰمِلِينَۖ﴾	136	آل عمران	46
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ اُلذِينَ اِخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِے شَكٍّ مِّنْهُۖ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اِتِّبَاعَ اُلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناًۖ﴾	**156**	النساء	40
﴿يَٰبَنِےٓ ءَادَمَ إِمَّا يَاتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِے فَمَنِ إِتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَۖ﴾	**33**	الأعراف	37
﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاًۖ إِنَّ رَحْمَتَ اُللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ اُلْمُحْسِنِينَۖ﴾	**55**	الأعراف	26
﴿تِلْكَ اُلدَّارُ اُلَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِے اُلَارْضِ وَلَا فَسَاداًۚ وَالْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَۖ﴾	**127**	الأعراف	43
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ۥأَنِّے مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ اُلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدَفِينَۖ﴾	**09**	الأنفال	28

﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ الذهب وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِے سَبِيلِ اِللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اَلِيمٍ۝﴾	**34**	التوبة	70
﴿هُوَ اُلذِے خَلَقَ اُلْيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ۝ كُلٌّ فِے فَلَكٍ يَسْبَحُونَ۝﴾	**22**	يونس	56
﴿وَأَمَّا اُلذِينَ سَعِدُواْ فَفِے اِلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ اِلسَّمَٰوَٰتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ۝ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ۝﴾	**108**	هود	38
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اُلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ اُلْيْلَ وَالنَّهَارَ۝﴾	**33**	إبراهيم	50
﴿إِلَّا مَنِ إِسْتَرَقَ اُلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ۝﴾	**18**	الحجر	55
﴿وَمِنَ اُلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	**79**	الإسراء	29
﴿هُنَالِكَ اُلْوَلَٰيَةُ سِهِ اِلْحَقِّ۝ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقُباً۝﴾	**43**	الكهف	43
﴿إِنَّ اُلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اُلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ اُلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾	**81**	الكهف	70
﴿وَكَانَ تحته كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَّبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ۝﴾	**102**	الكهف	65
﴿وَيَقُولُ اُلِانسَٰنُ أَذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً۝﴾	**66**	مريم	42
﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ اُلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾	**01**	طه	30

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَّخْشٰى﴾	**02**	طه	30
﴿وَمَنْ يَّاتِهٖ مُومِناً قَدْ عَمِلَ الصّٰلِحٰتِ فَأُوْلٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجٰتُ الْعُلٰى﴾	**73**	طه	31
﴿ إِنَّهُ مَنْ يَّاتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيٰى﴾	**75**	طه	31
﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلٰى أَثَرِے وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضٰى﴾	**82**	طه	41
﴿هُوَ الَّذِے يُسَيِّرُكُمْ فِے الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتّٰٓى إِذَا كُنتُمْ فِے الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنَ اَنجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهٖ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰكِرِينَ﴾	**33**	الأنبياء	56
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظٰماً فَكَسَوْنَا﴾	**14**	المؤمنون	72
﴿مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِے زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِےٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلٰى نُورٍ يَهْدِے اللَّهُ لِنُورِهٖ مَنْ يَّشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْاَمْثٰلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌ﴾	**35**	النور	53، 58
﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	**13**	النمل	32

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَي ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَي ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِۖ﴾	**81**	النمل	40
﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِے ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداًۖ وَالْعٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَۖ﴾	**83**	القصص	44
﴿وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِے ٱلصَّٰلِحِينَۖ﴾	**08**	العنكبوت	37
﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِے ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَۖ﴾	**18**	الروم	63
﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَ اَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِے مَسٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأَيٰتٍۖ اَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾	**26**	السجدة	36
﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِے لِمُسْتَقَرّ لَّهَاۖ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِۖ﴾	**38**	يس	49
﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌۖ﴾	**10**	الصافات	55
﴿فَنَظَرَ نَظْرَةٌ فِے ٱلنُّجُومِ﴾	**88**	الصافات	51
﴿وَيُنَجِّے ٱللَّهُ ٱلذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَۖ﴾	**61**	الزمر	35
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِے مُقَامٍ اَمِينٍ﴾	**51**	الدخان	35
﴿سِيمٰاهُمْ فِے وُجُوهِهِم مِّنَ اَثَرِ ٱلسُّجُودِۖ﴾	**29**	الفتح	17

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	**55**	الذاريات	25
﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾	**04**	الرحمن	51
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾	**45**	الرحمن	45
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾	**78**	الواقعة	51
﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذَ اَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾	**17**	القلم	46
﴿وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾	**34**	المدثر	60
﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰراً﴾	**12**	نوح	46
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَٰقِيهِ﴾	**06**	الانشقاق	25
﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾	**04**	الشرح	30

02- كشاف الأحاديث النبوية:

طرف الحديث	الصفحة
«أحضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله...»	42
«أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر»	59
«بين قبري أو بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»	63
«خير دينكم الورع»	34
«لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»	57
«من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الإسلام كلهُ»	34
«الورع سيد الأعمال»	34

03- كشاف الأبيات الشعرية:

الروي	شطر البيت الشعري	البحر	الصفحة
الباء	بعثوا إلى بصحيفة مطوية	المتدارك	14
الراء	آل الزبير نجوم يُستضاءُ بهم	البسيط	68
الراء	لعمرك ما مال الفتى بخيرة	الخفيف	71
الشين	حَمِيَ الحديدُ عليهم كأنه	الكامل	49
الصاد	ألم تَرَ أنَّ الأرض أصْبَحَ بَطْنُها	الطويل	69
الضاد	سلام مثلُ عَرْف المِسك طَيبًا	المتقارب	68
اللام	حَبائِلهُ مَبْثوثَةٌ بِسَبِيله	المتقارب	41
الياء	ما إن أبالي إذا ما مُتُ ما فعَلُوا	البسيط	45

فهرس المحتوى

المقدمـة: .....(01-09)

الفصل التمهيدي: حقل العتبات والمنهج السيميائي .....(10-23)

أولا: حقل العتبات 11

ثانيا: المنهج السيميائي 17

الفصل الأول: عتبات كتب الرقائق والتصوف في دلالاتها الإنسية .....(24-46)

أولا: الإنسان العابد.. المنهج والعائد 25

ثانيا: الإنسان الخالد.. المصير والمآل 39

الفصل الثاني: عتبات كتب الرقائق والتصوف في دلالاتها الكونية .....(47-72)

أولا: دلالات سماوية علوية 48

ثانيا: دلالات أرضية سفلية 62

الخاتمـة 73

الورّاقيـة 77

الكشافات 91

فهرس المحتوى 99

الملخص:

موضوع العتبات النصية، في دلالاتها الإنسية والكونية، يعبر عن تجربة روحية تعبدية فريدة من نوعها، تجسّد فيها الفعل الإنساني وسلوكه الأخلاقي برمزية غارقة في الإشارة والعلامة، سوّغ من خلالها الصوفية فكرة إنسانية الإنسان، ومناهجه التعبدية، وعلاقته بالكون والله، في نسق ديني أخلاقي معرفي، يعكس واقع الذات الإنسانية ودورها في المثال والواقع، وموقفها مع الذوات الأخرى.

فهي تكشف عن عمق الفكر الصوفي المنقبي بالغرب الإسلامي، والوقوف على طابعه السلوكي التصوري العملي، العابر في سياقاته كل الأمكنة والأزمنة، والمعبر عن المواجد النفسية والروحية والجسدية والعقلية للتجربة الصوفية بالغرب الإسلامي، في رمزية إشارية موحية.

وهو يعكس تمثلات مركزية الإنسان والأنسنة في المخيال الصوفي بالغرب الإسلامي، من خلال الألفاظ الإنسية التي تجسّد الفعل التعبدي، ومقاصده الدنيوية والأخروية، حيث استند المتصوفة في صياغة مسالكهم الإنسية التعبدية إلى الكتاب والسنة، والعودة إلى المأثور والمنقول عن السلف الصالح، وإلى التفسير الإشاري المتعانق مع النص القرآني، في ظل بيئة مشحونة بأفكار وتوجهات وفلسفات وديانات مختلفة، إما لإضفاء الشرعية الدينية على مشاريعهم السلوكية الفكرية أو محاولة إرساء منظومة قيم أخلاقية ومعرفية في طابعها الوعظي التذكيري، لصناعة الإنسان الكامل الرمزي.

الكلمات المفتاحية: العتبات، الدلالات الإنسية، الدلالات الكونية، الخطاب الصوفي، المسالك التعبدية، الذوق، العوالم ما فوق أرضية.

Summary:

The topic of textual thresholds in their cosmic human universe expresses a devotional spiritual experience, in which human action and moral behavior in symbolize that makes the Sufism an important idea for human life and the way of slavery and its relation with universe and reality.

The god in layout of moral knowledge express the habit of humanity. this makes more clear the imagination of the Sufism thoughts in occident Islamic show the scientific imagination everywhere (high world and low) and (nowadays and in the future) that express the moral ,physical and spiritual in occident islamic this show the representation of humain in sufism imagination through the world which effect on devotional and its objectives in life and after life.

The Sufism scientists based on holly couran, sunah and back to what said and transmitted by the righteousprocessors in addition to explaining the aim of the couran by trying to valuable behaviors and knowledge in way of advising and remembering to make to make perfect human.

Key words: Thresholds, Human symbols universe, Speech Sufism, The way of devotional, The world on earth, The Islamic East West, Medieval history.

تم بحمد الله